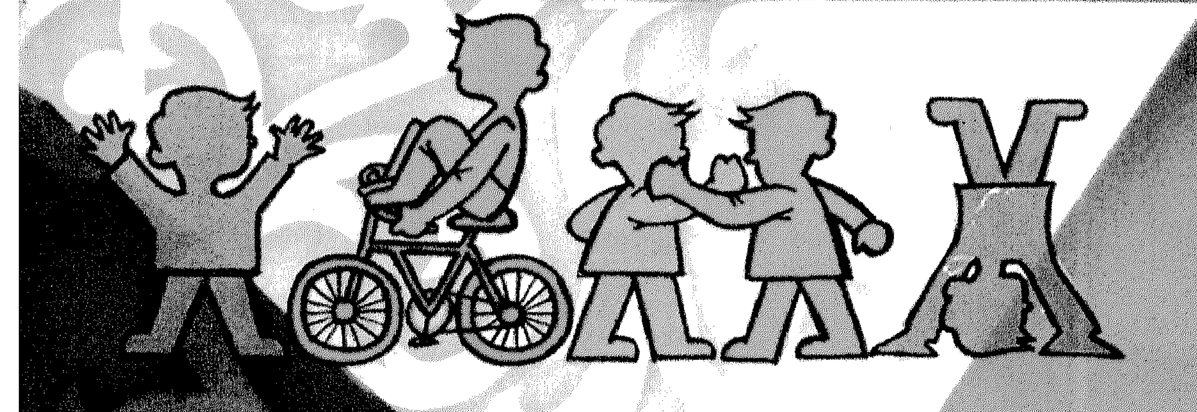


مشكلات الأطفال السلوكية

الأسباب وطرق العلاج



وفيق صفوت مختار





الناشـــر

دار العلم والثقافة

٦١شارع الشيخ محمد النادى المنطقة السادسة مدينة نصر ـ القاهرة
ت: ٢٧٥٨٢٥١ ـ ٢٧٥٨٢٥٢ فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ ص . ب: ٧٦

تجهيزات فنية: آى ـ تك ت: ٣١٤٣٦٣٢ ـ العنوان: ٤ ش بنى كعب ـ متفرع من السودان
طبع: آمون ت: ٣٥٤٤٣٥٦ - ٣٥٤٤٥١٧ ـ العنوان: ٤ فيروز - متفرع من إسماعيل أباظة

رقم الإيداع: ١٥٦٦٨ / ١٩٩٩ الترقيم الدولى: 9 - 11 - 5829 - 977
 ـ الطبعة الأولى: رمضان ١٤١٩ هـ ـ يناير ١٩٩٩ م

مشكلات الأطفال السلوكية

الأسباب وطرق العلاج

وفيق صفوت مختار

الناشـــر

دار العلم والثقافة



الإهداء

إلى طفلتَـــيَّ...

مريم و ريتا

وكل الأطفال الآخرين ...

وفيق


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

قبل أن أقوم بتقديم هذا الكتاب، أود أن أقدم تعريفًا بمؤلفه. إنه شاب مثقف ودءوب على قراءة المستجدات فى مجال تخصصه، وهو التربية وعلم النفس، كما أنه متابع للحركة الثقافية فى مصر والبلاد العربية، وله اتصالات مستمرة بالمجلات الثقافية التى تصدر فى مصر وخارجها، وقد نشر له بالفعل عديد من المقالات النفسية والتربوية والأدبية بمصر وخارجها، ومنها بعض فصول هذا الكتاب.

وشخصية المؤلف - كما أعرفه معرفة شخصية وثيقة - مرنة ومتطورة باستمرار، وله طموحات ثقافية واجتماعية يحسد عليها، كما أن لديه قدرة عظيمة على إقامة العلاقات الاجتماعية فى ضوء الاهتمامات الثقافية؛ وهو متمتع بالنظرات النقدية والتقيمية لما يقوم بالاطلاع عليه فى الكتب والمجلات، ولما يحضره من محاضرات وندوات، ولديه تذوق للأدب العربى وبخاصة الشعر، وله أصدقاء حميمون من الشعراء، يأخذ عنهم من فكرهم وعلمهم، ويعطيهم من علمه وفكره، كما أن له اتصالات ثقافية كثيرة بعديد من الكتاب والعلماء والشعراء، فيتابع باهتمام ما ينشر من فكر وأدب وفلسفة، سواء فى مصر أم فى الوطن العربى.

ولا أنسى أن أنوه إلى أن هذا الكتاب التربوى، الذى ينصب على الطفولة، يعتبر خلاصة خبرية لما قام المؤلف باكتسابه، سواء من خلال دراساته التربوية، أم من خلال عمله كأخصائى للتربية وعلم النفس.

ومن يتناول هذا الكتاب بالدراسة المتمعنة، يلمس المجهود الكبير والفكر العميق الذى أفرز هذا العمل العظيم. ولعله يكتشف معى الملاحظات نفسها التى لاحظتها بعد اطلاعى عليه، واستمتاعى بقراءته، وهى الملاحظات التى أود أن أعرضها فى نقاط على النحو التالى:

أولا :- من حيث اختياره لموضوع الكتاب :

فأول انطباع يتركه الكتاب - بدءًا من عنوانه واستمرارًا عبر آفاقه المتمثلة فى فصوله العشرة - هو أن المؤلف قد تناول أخطر قضية تربوية، يمكن أن تحظى باهتمام المربين جميعًا، سواء كانوا آباء وأمهات، أم كانوا معلمين. وهل هناك أخطر وأهم من قضية الطفولة ومشكلاتها؟ لعل المؤلف قد استمع إلى عديد من شكاوى الآباء والأمهات والمعلمين مما انحرف إليه أطفال اليوم، ومما يعانون منه من مشكلات سلوكية ودراسية، فتحمس لتناولها بالمدارسة فى ضوء دراساته العلمية، وأيضًا فى ضوء خبراته الشخصية، مع دأبه على اكتشاف الحلول المناسبة لمشكلات الطفولة؛ فهو فى دراسته التى بين يديك، يقدم إليك خلاصة علمه وخبراته الشخصية، لأنه مؤمن بأن العلم الذى لا يتفاعل مع شخصية العالم، لا يكون مثمرًا، بل يظل فى نطاق ذهنه، ولا يتسنى توظيفه فى واقع الحياة اليومية. فأنت اليوم أمام فكر علمى مهضوم، وأمام عمل لمؤلف صريح صراحة تامة فى تناول مشكلات الطفولة، كما أن بين يديك وسائل العلاج الناجعة، الصادرة عن فكر ثاقب، وعن فكر أستاذ مجرب ومختبر للحياة ومعلم، وكاتب يعصر ذهنه فيما يقوم بتدبيجه.

ثانيًا :- من حيث تصنيف الموضوعات :

ولسوف تلاحظ بمجرد اطلاعك على فهرس الكتاب، أن المؤلف قد قام بترتيب الموضوعات من حيث درجة أهميتها، فهو يقدم إليك المشكلات الأكثر انتشارًا بين الأطفال، ويتلوها بالموضوعات الأقل انتشارًا. ولكنه يعطى لكل موضوع حقه، سواء من الناحية النظرية العلمية، أم من الناحية العلاجية التطبيقية.

ثالثا :- من حيث الأسلوب :

فالمؤلف حريض على أن يقدم ما يقوم بكتابته فى أسلوب أنيق وسهل، مع مراعاة الدقة فى انتقاء المصطلحات العلمية، والبعد عن الغث من الكلام.

فهذا كتاب جدير بالاقتناء ومداومة الرجوع إليه، سواء من جانب الآباء والأمهات، أم من جانب المشتغلين بالتعليم، وبخاصة بالمرحلة الابتدائية والحضانة،،،

يوسف ميخائيل أسعد

مدينة نصر فى يوليو ١٩٩٨م



المقدمة

من الملاحظ الآن أن هناك اهتمامًا متزايدًا بدراسة مشكلات الطفولة، على أساس أن هذه المشكلات التى تصدر عن الأطفال قد تمثل اعتلالاً فى صحتهم النفسية؛ مما قد يؤثر تأثيرًا سالبًا فى سبيل تقدم نموهم وارتقائهم نحو الحياة بنجاح وسوية. من هذا المنطلق انبعث التفكير الجدى فى إعداد هذا الكتاب ليحقق مرامى ومقاصد التنشئة السلوكية السوية للطفل المصرى والعربى على حدٍّ سواء، بإيمانية تتمركز حول أهمية الدور المنوط للقيام به مستقبلاً، سيما ونحن نتأهب للانطلاقة نحو آفاق القرن الحادى والعشرين بما يحمله من سمات التقدم التكنولوجى المذهل، واضطراد المستحدثات التقنية التى باتت تقفز قفزات واسعة إلى الأمام.

وإذا كان لنا الحق فى استشراف وقراءة الخريطة المستقبلية عن كثب ودراية، كان من واجبنا أن نتطلع إلى طفل يحاط بالرعاية المتوازنة، والتربية السوية عن طريق إشباع حاجاته، وتلبية مطالبه الضرورية المشروعة من غير مماطلة أو تأجيل. . . طفل ينشأ وهو على دراية بواقعه، متسلحًا بالقيم الروحية والمعنوية السامية التى تحدد معالم شخصيته المميزة والمتفردة. . . طفل ذو ثقافة جديدة، تجعله على ثقة وهو يواجه ثورة المعلومات والإنترنت. . . طفل ذو عقائد راسخة، وقيم فاضلة، وخبرات واسعة، بحيث لا يكون مشدودًا إلى الوراء بعقلية بالية عتيقة، أو مبهورًا بما يراه حوله من مستحدثات فينجرف عن غير

وعى، فتتفسخ هويته، وتتلاشى خصوصيته، فيفقد سمات شخصيته ويذوب فى عالم القرية التكنولوجية الواحدة حيث «العولمة» أو «الكوكبة».

وبما أن الأسرة هى المجتمع الإنسانى الأول الذى يمارس فيه الطفل أولى علاقاته الإنسانية، وهى المسئولة عن اكتساب أطفالها أنماط السلوك السوى وقواعده وأنماطه وضوابطه، فإن هذا الكتاب يتوجه للأسرة بتقديم النصح والإرشاد والتوجيه حول كيفية الوقاية والعلاج لأهم المشكلات السلوكية، التى تواجه الأطفال فى مراحل نموهم؛ تأكيدًا لأهمية دور الأسرة فى تكوين شخصية أفرادها فى مرحلة من أهم وأدق مراحل حياتهم، هى مرحلة الطفولة التى تشكل الأساس فى بناء هيكل الشخصية وتحديد معالمها الرئيسية.

وقد جاءت رسالة الكتاب متبلورة من منطلق الإيمان التام بأن الغالبية العظمى من الأزواج ينقصهم إلى حدٍ بعيد الإعداد، المؤهل لتحمل مسئوليات تربية الأبناء، حسب منهج علمى واضح ومدروس، فى الوقت الذى نلحظ فيه عدم وجود جهاز متخصص يضطلع بمهمة إعداد مثل هؤلاء الأزواج لتحمل تبعات تربية أبنائهم، بينما يطفو على السطح عديد من الأسئلة المحيرة للآباء حول أساليب تربية أطفالهم، وحل مشكلاتهم بالطرق السليمة الصحيحة، وإن كنا لانشك لحظة واحدة فى أن معظم هؤلاء الآباء ينتابهم القلق الشديد لتوقهم حول معرفة ما ينبغى أن يفعلوه، أو ما لا يفعلونه للقيام برسالة التربية، وغايات التنشئة على الوجه الأكمل والأمثل. هذا إذا أضفنا أن تواجد الأخصائيين النفسيين فى المجتمعات العربية ـ وهم المكلفون أساسًا بحل مثل هذه المشكلات، والإجابة عن كل هذه التساؤلات، عن طريق الإرشاد والتوجيه ـ غير متواجد على الإطلاق، على العكس من المجتمعات، التى تعمل وفق أسس التربية الحديثة، التى تؤكد على ضرورة تواجد الأخصائى النفسى، وتقدر أهمية دوره فى الإسهام فى حل مثل هذه المشكلات.

وعلى ضوء ما تقدم، يمكننا أن نؤكد أن مشكلات الأطفال إنما هى مشكلات

ترجع فى المقام الأول إلى ظروف بيئية، ظروف غير مواتية وغير مناسبة أيضًا، يعيشها الأطفال فتعصف بصحتهم النفسية، وتؤثر بالسلب على مجمل سلوكياتهم، لذلك أولى الكتاب اهتماماته وتوجهاته نحو الأسرة آباء وأمهات، ونحو المدرسة معلمين ومعلمات، مربين ورواد.

وإن كنا - من ناحية أخرى - لا نخفى مدى حرصنا فى أن تعم رسالة الكتاب، بحيث تغطى - قدر الاستطاعة - احتياجات الدارسين والباحثين التى تتجلى فى شغفهم الدائم نحو استجلاء خفايا وحقائق الأسس التربوية القويمة للطفولة فى هذا المجال موضوع الكتاب، مؤكدين أن المادة العلمية والبحثية المطروحة بين دفتى الكتاب إنما قد أعدت لتفى بهذا الغرض، والذى يتبلور فيما يتبلور حول عرض موضوعاته بأسلوب تكاملى، وترابط منطقى، ومنهج علمى وموضوعى، تجعلنا فى النهاية نزعم بأن للكتاب أهمية مزدوجة إحداها للآباء والمربين، والأخرى للدارسين والباحثين.

ونظرًا لتعدد وتنوع المشكلات التى تواجه الأطفال، فقد اقتصرت مادة الكتاب حول عرض أهم المشكلات السلوكية التى يتعرض لها الأطفال دون الخوض فى عرض ودراسة مشكلات الأطفال فى المجالين النفسى والتربوى. وننوه بأنه تناولنا عرض هذه المشكلات حسب مقتضيات الأسلوبية العلمية، والمنهجية البحثية المتعارف عليها.

والجدير بالذكر أنه فى تناولنا بالعرض والتحليل لهذه المشكلات عرضنا لأهم الدوافع والأسباب التى تؤثر تأثيرًا كبيرًا فى ظهورها، ثم قدمنا فى النهاية عديدًا من المقترحات حول سبل الوقاية والعلاج التى تساعد فى حل هذه المشكلات، ليس كحلول جاهزة أو جامدة وإنما كمقترحات تضيئ الطريق أمام الآباء والمربين فى التغلب على العقبات التى قد تصادفهم فى أثناء التنشئة.

كما نود أن نشير إلى أن وسائل العلاج المقترحة، التى تناولناها بالعرض فى هذا الكتاب لم تكن موجهة إلى الأطفال أصحاب المشكلة، بقدر ما وجهت إلى

بيئة الطفل بالكامل بما فيها من آباء ومربين، حتى يستطيعوا التعامل مع الأطفال على نحوٍ سوى، وبأساليب تربوية جديدة، واتجاهات نفسية متطورة، وطرق وقائية، تحول دون تفاقم الصعوبات والمشكلات؛ كى يتسنى لهم أن يهموا بتعديل أساليبهم التى يستخدمونها فى التعامل معهم.

هذا . . . وقد احتوى الكتاب على عشرة فصول، أو عشر مشكلات، تم اختيارها من منطلق أهميتها ومدى انتشارها وذيوعها بين الأطفال .

والله ولى التوفيق ،،

المؤلف

وفيق صفوت مختار

القاهرة : يوليو ١٩٩٨م

قبل أن تقرأ

الطفـل ..

إذا عاش في بيئة تنتقده ... تعلم أن يلعن الآخرين.
وإذا عاش في بيئة تكرهه ... تعلم أن يحارب الآخرين.
وإذا عاش في بيئة تخيفه ... تعلم أن يكون متوجسًا للشر.
وإذا عاش في بيئة تشفق عليه ... تعلم أن يأسى لنفسه.
وإذا عاش في بيئة حقودة ... تعلم الإحساس بالذنب.
وإذا عاش في بيئة متساهلة ... تعلم أن يكون مريضًا.
وإذا عاش في بيئة تشجعه ... تعلم أن يثق في نفسه.
وإذا عاش في بيئة تمتدحه ... تعلم أن يكون قادرًا.
وإذا عاش في بيئة تشعر بالتقبل ... تعلم أن يكون محبًا.
وإذا عاش في بيئة توافقه ... تعلم أن يحب نفسه.
وإذا عاش في بيئة تنصفه ... تعلم أن يقدر العدالة.
وإذا عاش في بيئة تأمنه ... تعلم أن يقدر الصدق.
وإذا عاش في بيئة توفر له الأمن ... تعلم أن يتعامل بصدق مع نفسه.
وإذا عاش في بيئة تصادقه ... تعلم أن العالم مكان يستحق أن يعيش فيه.

Hurluck. E «إليزابيث هيرلوك»
Developmental Psychology : عن كتابها



الفصل الأول

العصبية



العصبية

إنها مشكلة تواجه عديد من الآباء والأمهات. وحالات عصبية الطفل لاتعود إلى أسباب نفسية فقط، بل إن هناك عوامل جسمية تؤثر فى عدم استقرار الطفل، ومهمة الوالدين هى محاولة فهم الأسباب الكامنة خلف هذه الأعراض العصبية، ومساعدة الطفل على التخلص منها بطريقة غير قهرية.

من الأطفال من يتصف بالعصبيَّة فى المزاج «NERVOUS» حيث تُستعمل اللفظة الأجنبية لعدّة معان، فهى تعنى «عصبى» أو ذا علاقة بالخلايا العصبيَّة، أو مؤلفًا منها، وذا علاقة بالأعْصاب أو ناشئًا فيها أو متأثرًا بها. وتشير إلى من كان متّقد الفكر أو الشعور أو الأسلوب، مثلما تدلّ على حدّة المزاج وسرعة تأثيره وعدم استقراره، فيقال للشخص «عصبى المزاج».

وتظهر على هؤلاء بعض الأعراض العصبيَّة فى صورة حركات لاشعوريَّة تلقائيَّة لا إراديَّة، مثل: قرض الأظافر (قضم الأظافر)، أو رمش العين، أو هزّ الكتف من وقت لآخر، أو تحريك الرأس جانبًا، أو مص الأصابع، أو عض الأقلام، أو مداومة اللعب فى الشعر، أو حك فروة الرأس. أو قد يكون بالاستغراق فى أحلام اليقظة، أو قد يكون أحيانًا بالبكاء. وفى أحايين أخرى تظهر أعراض التشنجات الهستيريَّة «غير صرعيَّة»، أو غير ذلك من الحركات التى لا تقرها البيئة الاجتماعيّة، وبالتالى يحاول الوالدان منع الأطفال عن الإتيان بمثل هذه الحركات ولكن دون جَدْوى لأنها ـ وكما ذكرنا ـ حركات لا إراديَّة مَرْجِعُها التوتُّر النفسى الشديد، الذى يعانى منه الطفل، والذى يؤدِّى بدوره

إلى توتُّر فى الجهاز العصبى؛ فيتخلَّص منه الطفل بتلك الحركات بطريقة قهريَّة لاشعوريَّة.

وكل هذه الحالات العصبيَّة ليست أسبابها نفسيّة فقط، بل إن هناك عوامل جسميَّة تُؤثِّر فى عدم استقرار الطفل وعصبيَّته، وهو ما سنتعرض له فى الفقرات التالية.

عصبية الأطفال ومفهوم الذات :

الأسرة تؤثر فى شخصية الطفل تأثيرًا كبيرًا لأن الطفل يتفاعل مع مجتمع الأسرة أكثر من تفاعله مع أىِّ مجتمع آخر، وخصوصًا فى سنواته الأولى. والطفل يكوِّن فكرته عن نفسه أى عن «ذاته» فى بادئ الأمر من علاقته بالأسرة، فقد يرى نفسه محبوبًا ومرغوبًا فيه، أو منبوذًا، أو مُحتقرًا. وبالتالى إمّا أن ينشأ راضيًا عن نفسه، أو نافرًا منها ساخطًا عليها، فتسود حياته النفسيّة التوتُّرات والصِّراعاتُ التى تتميَّز بمشاعر الضيق والقلق والشعور بالذَّنب والإحساس بالنقص والاكتئاب.

ولَّما أصبح «مفهوم الذَّات» هو حجر الزاوية فى تكوين الشخصيّة، فسوف نعرض لمفهومِها وتطوُّرها بشىءٍ من الإيجاز.

تعريف «الذات SELF» :

هى : الشعور والوعى بكينونة الفرد، وتنمو الذَّات وتَنْفَصِلُ تدريجيـًّا عن المجال الإدراكى، وتتكون كنتيجة للتفاعل مع البيئة، وتشمل الذَّات المدركة، والذَّات الاجتماعيّة، والذَّات المثاليَّة. وقد تمتص قيم الآخرين وتسعى إلى التوَّافق والثبات، وهى تنمو نتيجةً للنضج والتعلُّم.

تعريف «مفهوم الذات SELF - CONCEPT» :

هو تكوينٌ معرفىٌّ منظمٌ وموحَّدٌ ومتعلَّم للمدركات الشُّعوريّة والتصوُّرات الخاصة بالذَّات، ويتكون «مفهوم الذَّات» من أفكار الفرد الذَّاتيّة لكينونته

الداخليَّة والخارجيَّة، والتى تنعكس إجرائيًا فى وصف الفرد لذاته كما يتصوَّرُها هو، وتسمى «الذَّات المدركة» (PERCEIVED - SELF)، وأيضًا المدركات والتصوُّرات التى تحدِّدُ الصورة التى يعتقد أن الآخرين يتصوَّرونها، والتى تنتج من خلال التفاعل الاجتماعى مع الآخرين، وتسمى «الذَّات الاجتماعية» (SOCIAL - SELF)، كذلك المدركات والتصوُّرات التى تحدد الصورة المثاليَّة للشخص، الذى يَوَدُّ أن يكون، وتسمى «الذَّات المثاليَّة» (IDEAL - SELF). ووظيفة الذَّات وظيفةٌ دافعيّةٌ تُبلورُ عالمًا لخبرة المتغيّر الذى يُوجد الفرد فى وسطه.

تطور نمو «الذات» و «مفهوم الذات» :

* يقول العالِم «ويكس» (WICKES) إن طفل التسعة أشهر يفهم الإشارات ويؤكِّد على أن هذه السنَّ هى بدايةُ الولادة السيكولوجيَّة للطفل حينما يخرج من رحم اللاّشعور بالذَّات، إلى الشعور بذاته، حيث يكتشفها ويدخل العالم الأكبر.

* وحينما يُتمُّ الطفل عامًا كاملاً يدخل فى مرحلة الكشف والاستكشاف، فتنمو صورة الذَّات ويزداد التفاعل مع الأمِّ، ثم مع الآخرين، ويستعمل الكلمات، ويكون ١٠٪ منها ضمائر، وهنا تبدو فرديَّته الداخليَّة، ثم تبدأ عملية الأخذ والعطاء، وتبدأ الذَّات النامية فى التفريق بين العالَمين الداخلى والخارجى.

* وفى سنِّ عامين كاملين يزداد تمييز الطفل لذاته، ويكون مُتَمَرْكِزًا حول ذاته، وتنمو «أنا» «وأنت»، «ملكى» و«ملكك»، وتتكون الذَّات الاجتماعيَّة.

* وفى سن الثالثة يرسم الطفل صورةً أشمل للعالم المحيط به، ويزدادُ شعوره بفرديَّته وشخصيَّته، ويزداد تمركُزُه حول ذاته، ويجتهد فى بناء تلك الذَّات، ونسمع منه دائمًا «أنا»، و «ملكى»، وبعد ذلك نسمع منه «نحن»، ثم يدرك أن له دوافع بعضها يتحققُ، وبعضها لا يتحقق.

* وفى سن الرابعة يكوِّن الطفل علاقات عقليَّة واجتماعيَّة وانفعاليَّة مع الآخرين الذين يُهِمُّونَه، ونسمع منه أسئلةً للاستكشاف والتوضيح منها: لماذا؟، وأين؟، ومتى؟.

* وفى سن الخامسة يتقبلُ الطفلُ فرديَّته، ويزداد وَعْيُه بالذَّات ويقل اعْتمَاده الكامل على الوالدين ويزداد استقلاله ويتضح تفاعله الأكبر مع البيئة الخارجيَّة.

* وفى سن المرحلة الابتدائية (من سن ٦ إلى ١٢ عامًا) يلعب المعلّم دورًا مهمًّا فى نمو الذَّات لدى الطفل، وتَنْمُو الذَّات من تصور الآخرين عن طريق عملية الامتصاص الاجتماعى. ويزداد شعور الطفل بقيمته، ويسعى لتعزيز صورته فى أعين الآخرين، وتنمو الذَّات المثاليّة خلال عملية التَّوحُّد، وتبنى أهداف الوالدين والمعلّمين والأبطال والنوابغ... وهكذا نجد أن فى هذه المرحلة يتَّسعُ الإطار المرجعِيّ، الذى يتحددُ فى ضَوْئِه مفهوم الذَّات المُوجِب والتَّوافق النفسى، أو مفهوم الذَّات السالب وعدم الرِّضا وسوء التَّوافق النفسى، الذى يؤدّى إلى عصبيَّة الأطفال.

الأسباب النفسية والجسمية لعصبية الأطفال :

يرى بعض علماء النفس أن أهم أسباب عصبيَّة الأطفال وقلقهم النفسى ترجع إلى الشعور بالعجزِ والعداوة، وكذا الشعور بالعُزْلة، وكل هذه المشاعر السلبيّة ترجع إلى حرمان الأطفال من الدفء العاطفى، وعدم إشباع حاجاتهم إلى الشعور بالحب والحنان والانتماء والقبول، وإلى سيطرة الآباء فى سطوة متجبرة. ولعلنا كثيرًا ما نرى أن الآباء يخطئون فى حقِّ أبنائهم حينما يفرِّقون بين طفل وآخر فهذا طيِّب وهذا خبيث، أو ابننا فلان ذكى وابننا فلان غبى، كذلك التفريق فى المعاملة بين الولد والبنت، وكذلك ترجع عصبيَّة الأطفال إلى تناقض البيئة بما تنطوى عليه من الغِش والخداع، فالآباء يعِدون أطفالهم ثم لا يفون بوعودهم.

والجدير بالذّكر أن العوامل والأمراض الجسميّة قد تتسبَّب أيضًا فى عدم استقرار الطفل وعصبيته، ومن هذه العوامل: اضطرابات الغدد كزيادة إفراز «الغدَّة الدرقيَّة»، وكذلك سوء الهضم، والإصابة باللُّوز، والديدان، ومرض الصرع، لذلك يلزم علينا التأكُّد أولاً من خلو الطفل من الأمراض العضوية التى تؤثِّر على صحته العامة، فإن وجد سليمًا من الناحية الجسميَّة تكون بالتالى أسباب العصبيَّة نفسيَّة يتحتَّم علاجها. وأحيانًا تكون الأسباب مزدوجة؛ أى أسباب نفسيَّة وجسميَّة.

تطور النمو الانفعالي للأطفال بالنسبة لظاهرة العصبية :

فى فترة الرضاعة ﴿ من أسبوعين إلى عامين ﴾ :

يلاحظ أن الرَّضيع الذى ليس فى حاجة إلى غذاء أو ماء أو نوم أو نظافة، فإنه يظهر عليه الهدوء والسعادة، أما إذا كان الحال عكس ذلك فالتوتُّر والغضب والعصبيَّة وغير ذلك من أنماط سلوكيَّة تكون متوقَّعة حتى لأتفه الأسباب. ويؤدّى كذلك التوتُّر والاضطراب الانفعالى إلى عدم استقرار الرَّضيع، وإلى بعض اللّزمات العصبيَّة، مثل: مص الإبهام، أو كثرة التبوُّل، أو كثرة الصراخ والتخريب أو الانسحاب.

فى الطفولة المبكرة ﴿ من عامين إلى ستة أعوام ﴾ :

يزداد تمايز الاستجابات الانفعاليَّة، وتزداد الاستجابات الانفعاليَّة اللفظيَّة لتحلَّ تدريجيًا محل الاستجابات الانفعاليَّة الجسميَّة، وتتميَّز الانفعالات بأنها شديدة ومبالَغ فيها (غضب شديد، كراهية شديدة)، وتتميَّز كذلك بالتنوُّع والانتقال من انفعال لآخر (من الانشراح إلى الانقباض، ومن الهدوء إلى العصبيَّة). وتظهر الانفعالات المركَّزة حول الذَّات، مثل : الخجل، والإحساس بالذَّنب، والشُّعور بالنقص، ولوم الذَّات، وكذلك مشاعر الثقة بالنفس، والاتجاهات المختلفة نحو الذَّات.

فى الطفولة المتأخرة ﴿ من تسعة أعوام إلى اثنى عشر عامًا ﴾:

تقل مظاهر الثورة الخارجيَّة، ويتعلَّم الطفل كيف يتنازل عن حاجاته العاجلة، التى قد تُغْضِب والديه، ويحاط الطفل ببعض مصادر القلق والصراع، ويستغرق فى «أحلام اليقظة».

مظاهر العصبية تنتقل من الآباء إلي الأبناء :

لا شك أن الأبَّ الذى يعانى من العصبيَّة والتوتّر، فإنه ينقل هذه المظاهر إلى أطفاله؛ لأن الطفل فى حقيقة الأمر يلاحظ سلوك أبيه وينقل تصرفاته، وبذلك فإنه يتعلَّم أساليب جديدة للاستثارة الانفعاليَّة.

والأمُّ الثَّائرة الحانقة تُعلِّم أطفالها العصبيَّة والتهوُّر والرُّعونة، بدلاً من أن تعلمهم مجابهة الحياة بتروٍ وهدوء دون انفعال وعصبيَّة مبالغ فيها.

والأمُّ التسلُّطية تصبح مصدرًا محبطًا للطفل فيقاومها كلَّما تمكَّن من ذلك، بعكس الأمِّ المرنة الهادئة التى يحبها الطفل ويثقُ فيها، وبالتَّالى يخضع لمشيئتها وينفّذ مطالبها بكل اقتناع وهدوء. ومعنى هذا أن كل الانفعالات والأساليب السلوكيَّة والعادات والاتجاهات سواء أكانت مرضيَّة أم صحيَّة، سويَّة أم شاذَّة، تتمركز حول الآباء باعتبارهم مصادر السلطة. وحينما يكبر الطفل ينقل هذه الانفعالات والأساليب، ويبدأ فى تعميمها؛ فالمُعلِّمة تصبح البديل أو القرين لأمه، وكذا المُعلِّم يصبح القرين أو البديل لأبيه. لذلك لا غرو إذا كانت التربية الحديثة تؤكد على تربية الآباء قبل الأبناء، وتربية المُعلِّمين قبل تربية التلاميذ الصغار.

التدليل وفرط الحماية يؤثران سلباً في عصبية الأطفال :

إذا كانت القسوة تؤدى إلى عصبيَّة الأطفال وتوتُّرهم، فإن التدليل المبالغ فيه والإفراط فى الحماية يؤديان إلى عصبيَّة الأطفال وانفعالاتهم المرضيّة وتوتُّرهم الدائم، ذلك لأن التدليل يُنمى فى شعور الطفل صفة الأنانيَّة، ويجعله دائم

التَّمْركُز حول ذاته، وكأن ذاته هذه هى محور الكون ومركز اهتمام البيئة؛ فيتعلَّم ضرورة إجابة طلباته دون تأجيل، ويثور ويتوتَّر إن لم تُجب رغباته لأنه يحس - بوجدانه المريض - أن المجتمع كله يضطهده، والدليل فى نظرِه أنه لم يحقق رغباته ومطامحه، دون أن يدرى بالقطع أننا لانستطيع تلبيَّة جميع رغباتنا فى آن واحد.

نماذج غير سوية من فرط الحماية والتدليل :

* الطفل وحيد والديه :

الطفل الوحيد يكون مركز الاهتمام وبؤرة التدليل والرعاية، وينال رعاية كبيرة ومُركَّزة، تنحصر فيه آمال الأبوين، ويتوقعان منه إنجازات رائعة، لأنه كلُّ الأولاد، وبالتالى يقع الوالدان فى خطأ الرعاية والحماية المفْرطة له، ويدلّلانه تدليلاً مبالغًا فيه، فوالداه يشعران أنهما لن ينجبا غيره؛ فيخافان عليه من كل شيء، وبالتالى يستجيبان لكل رغباته، طائعين لايحاولان إطلاقًا رفض طلباته، ويسرعان إلى تهدئه خاطره واسترضائه؛ مما يؤثّر تأثيرًا سيئًا فى نمو شخصيَّته؛ فيصير الطفل معتمدًا عليهما فى كل صغيرة وكبيرة، وبالتالى لا يستطيع أن يتحمل المسئوليَّات المناسبة لسِنِّه.

ومِمّا يزيد الأمر سوءًا، هو منع الطفل من اللَّعب مع رفاق سِنّه؛ خوفًا عليه من تعرُّضه للحوادث والإصابات مثلاً، فيحاولان جاهدين استبقاءه فى المنزل؛ حتى يكون فى مأمن من الأخطار، والواقع أن هذا المسلك يجعله يجد صعوبات جمة فى تفاعله وتوافقه الاجتماعى مع رفاق سِنِّه، ولذلك فليدرك أبواه أنه يجب أن يعوّض الطفل الوحيد عن إخواته بعدد مناسب من الأصدقاء والرفاق ممّن هم فى سنِّه؛ حتى ينمو اجتماعيًّا النمو المناسب والمعقول من خلال تفاعله معهم، ومِمّا يُفيد الطفل هنا إلحاقه مبكرًا بدار حضانة جيدة ومناسبة، وكذلك شغل وقت فراغه بالهوايات الممتعة، مثل تربية طيور الزينة، مع معاملته معاملة طبيعية جدًا.

* الطفل الأول :

الطفل الأول يمثل دائمًا البداية الجديدة لأى أسرة شابة، فهو أول خبراتها فى مجال الأبوَّة والأمومة. ولاشك أن النظرة الأولى للطفل يكون ملؤها الفرح والسعادة لمقْدِمه، بغضِّ النظر عن أن صورته المُتخيَّلة فى ذهنهما لم تطابق الواقع.

ومع نمو الطفل الأول، فإنه يصبح محط أنظار والديه وبؤرة اهتمامهما ومطامحهما، يدفعانه إلى تحقيقها، وقد ينال الطفل الأول الكثير من الحماية الزائدة والتدليل المفرط، وهذا هو الخطأ الذى سبق وأن نبهنا إليه، من جهة أخرى يشعر الطفل الأول أنه مركز اهتمام الأسرة، وقد يشعر حين يأتى الطفل الثانى - إذا لم يكن قد أُعدَّ لذلك إعدادًا خاصًا - أن كارثة قد حلت به، فتنمو لديه «عقدة قابيل».

* الطفل الأكبر :

الطفل الأكبر الموجود مع إخواته وأخواته الأصغر منه هو أيضًا الطفل الأول بالنسبة لوالديه، وهو يستقبل الكثير من عنايتهما وحبهما ورعايتهما أكثر من إخوته، وهو يلقى حماية زائدة واهتمامًا بالغًا، وهو أقرب الأطفال إلى والديه من ناحية السن، والطفل الأكبر يتوقَّع منه أن يكون رائدًا لإخوته وأخواته الأصغر منه، وهو يشعر بالزّهو والفخر بالنسبة لهم لأنه كبيرهم ورائدهم، وقد يتسلَّط عليهم، إذا وجد الضوء الأخضر من والديه.

والطفل الأكبر يتمتَّع ببعض المزايا، فلا يوجد من هو أكبر منه من الإخوة يمارس معه السلطة والتسلُّط، وعادة يشير الوالدان إليه كنموذج لأطفالهما، أمام الأهل والأصدقاء، وهنا يستلزم من الوالدين مراعاة شعور إخوته وأخواته الصغار.

وقد يفضله الوالدان بدرجة زائدة ويدللانه، ويرفعان مَرْكَزَهُ وقَدْرَهُ باعتباره الطفل الأكبر، ومن المفروض ألاَّ يحصل الطفل على أيَّة مزايا لهذا السبب على حساب إخوته وأخواته.

* الطفل الأصغر :

الطفل الأصغر يمثل مكانًا خاصًا في قلب والده أو والدته لأنه الأصغر والأضعف، ومن مظاهر التدليل والحماية الزائدة هو تلبيَّة رغباته بشكلٍ مُبَالغ فيه على أنه «الصغير»، فيحصل على امتيازات ومميزات بهذه الحجَّة، وقد يخطىء الصغار فينال الجميع عقابًا صارمًا، ولكن هذا العقاب لايُطَبَّقْ بنفس الحزم مع الطفل الأصغر وحجَّة الوالدين فى ذلك أنه لايدرى ولا يعى فقد قلَّد إخوته وأخواته الأكبر منه!!

وقد لاتُشترى ثيابٌ جديدة للكبار فى الأعياد، ولكن يُشترى للطفل الأصغر لأنه «الأصغر والأضعف»!! والمطلوب من الوالدين فى هذا الصدد التوازن التَّام فى رعايتهما لأطفالهما الكبار منهم والصغار على حدٍّ سواء.

العلاقة بين الضعف العقلي وعصبية الأطفال :

الضعف العقلى ومستوى الذكاء المنخفض يكون غالبًا مصحوبًا بالتوتُّر والعصبيَّة وعدم الاستقرار، وقد تصل العصبيَّة إلى حد التحطيم والتخريب، وتزداد عصبيَّة ضعاف العقول كلَّما حاولت البيئة (المنزل أو المدرسة) أن تمارس ضغوطًا عليهم، كأن يُحسِّنوا أداءهم أو تحصيلهم، ويكون هذا أكبر من قدراتهم وطاقاتهم الذهنيَّة والفكريَّة، وممّا يزيد من عصبيَّة هؤلاء الأطفال تأنيبهم كلَّما أخطأوا أو أخفقوا، أو مقارنتهم بأقرانهم الأسوياء مقارنة تنطوى على بعض الظلم وليست فى صالحهم فيشعرون بالنَّقْص والدونيَّة والشقاء وخيبة الأمل فيزدادون توتُّرًا نفسيًا وعصبيـًّا.

وعلى الآباء التعجيل بالعلاج الطبِّى اللازم حسب الحالة، مع إعادة تربية هؤلاء الأطفال بالأساليب التربويَّة الخاصة، كذلك استثمار ذكائهم المحدود، ويلزم كذلك مساعدتهم على التوافق الاجتماعى المطلوب، وحمايتهم من استغلال الآخرين لهم، وإعداد وتوجيه الوالدين لكى يتحمَّلا عبء هذه المشكلة وقائيـًّا وعلاجيـًّا.

أمَّا على الجانب العام فلا بد من نشر المعرفة، ورفع وعى المواطنين بخصوص الضعف العقلى، وتوجيه وإرشاد الوالدين قبل الإنجاب، وذلك بالفحص الدورى للأمِّ الحامل، ووقاية الأطفال أثناء الولادة، والتعرُّف المبكِّر على الاضطرابات الوراثيَّة، التى يمكن أن تتسبَّب فى إنجاب أطفالٍ ضعاف العقول.

العلاقة بين الذكاء وعصبية الأطفال :

الطفل الذكى قد يعانى - أحيانًا - من العصبيَّة والتوتر وعدم الاستقرار؛ ذلك لأن مستوى تفكيره يختلف كثيراً عن مستوى تفكير أقرانه، فيدرك ويستوعب كل ما يُقال له أسرع وأعمق. ونحن نلاحظ أنه كلما استرسل المعلِّم فى الشرح بالإعادة والتكرار، شَعر الطفل الذكى بالملل والضيق والتبرم؛ لأنه يستوعب بسرعةٍ ملحوظة فنراه يستخف بالدراسة، وحتى فى المنزل لايبذل جهدًا كبيراً فى التحصيل والاستذكار، ولذلك ننبه أن مثل هؤلاء الأطفال إنّما ينتابهم الغرور والثقة الزائدة فى النفس.

ومن المعروف عن هؤلاء الأطفال الأذكياء أنهم كثيرو الأسئلة، ولديهم ملاحظات قد تتسبب فى إحراج الآباء والمُعلِّمين على حدٍ سواء، فيواجه مثل هذا الطفل أو ذاك بالعقاب البدنى أو السخرية منه والازدراء واللامبالاة، بحجة أن هذه الأسئلة وتلك الاستفسارات إنّما تُعيق العمل داخل الفصل، وذلك حينما يتطرق مثل هؤلاء الأطفال إلى موضوعاتٍ خارج نطاق المقرر المعمول به، ممَّا يتسبب فى تعطيل مسار الدرس. ويُعيق السواد الأعظم من التلاميذ عن الفهم والاستيعاب؛ لاسيما والمقررات المدرسية طويلة وشاقة، وفى المقابل.. فإن العام الدراسى صغير وقصير ويكاد يكفى بالكاد لتغطية جميع موضوعات المقرر!! زد على ذلك لو أن موقف الأبوين فى المنزل هو موقف المعلِّمين أنفسهم فى المدرسة... كل هذا بلا شك يدفع الطفل دفعًا إلى الشعور بالضيق والتبرم

والقلق النفسى والإحباط، فيلجأ إلى العصبيَّة والعدوانيّة، وقد تؤدى به هذه المطبات النفسيّة والعصبيَّة الشديدة إلى أعراض أخرى لا تقل خطورة كالتبول اللاّإرادى أو الإصابة بأمراض الكلام كالتهتهة أو اللجلجة أو اللعثمة، وفى تطورات أخرى قد تؤدى به إلى انحرافات سلوكيّة كالسرقة أو الكذب.. وكل هذه الأعراض والأمراض تؤدى بالطفل فى النهاية إلى دوامة التخلف الدراسى، ومن ثمّ الفشل.

وقضية الطفل الذكى أو المتفوق لا تقل خطورة بحالٍ من الأحوال عن قضية الطفل الغبى، كما أن الطفل الذكى لا يعتبر مشكلة فى حد ذاته، كل ما فى الأمر أنه يشعر بأن مستواه العقلى، ومن ثمّ مستواه الدراسى أعلى بكثير من مستوى أقرانه، ولذلك يشعر بالملل من حضوره إلى المدرسة فهى لا تشبع نهمه المعرفى، وطاقاته الزائدة، وقدراته العقلية المُتَّقِدَة.

والأخطر من هذا أن الطفل قد يستخف بأداء واجباته ويهملها، معتمدًا على قدراته العقليَّة والذهنيَّة العالية فى الفهم والتحصيل والاستيعاب.. الأمر الذى قد يؤدى به سوء حظه إلى أن تخونه قدراته أحيانًا فيتأخر دراسيًا، أو قد يرسب فى الاختبارات، ومن ثم يُحبط فتزداد عصبيته وثورته، وقد يُصاب بحالاتٍ مزمنةٍ من القلق والاكتئاب.

لذلك.. فإننا ننادى بأن تكون بكل مدرسة فصول للمتفوقين، تختلف فيها الدراسة كمًا وكيفًا عن باقى الفصول العادية، كما أنه من المفروض أن يقوم بالتدريس (فى مثل هذه الفصول) مُعلِّمون على مستوى عالٍ من التأهيل الأكاديمى والتربوى؛ حتى يتسنى لهم مجاراة هؤلاء الأطفال الأذكياء.

وفى هذا الصدد، يمكن للمدرسة أن تكشف عن هؤلاء الأطفال المتفوقين والأذكياء بإجراء اختبارات تكشف عن السمات السيكولوجية، التى تتوافر بدرجة كبيرة فى مثل هؤلاء الأذكياء، وهى على سبيل المثال لا الحصر: استقلال التفكير، ودقة الملاحظة، وقوة الذاكرة، وسرعة الفهم وعمقه، والقدرة على

الابتكار والتجديد، والثقة بالنفس وعدم التردد، وقوة الإرادة والمثابرة، والرغبة فى التفوق وبذل الجهد، وسرعة النمو التحصيلى.

لذلك كان لزامًا، والأمر جد خطير أن تتبنى المؤسسات التربوية كالأسرة والمدرسة الاهتمام بهؤلاء الأذكياء بتشجيعهم على القراءة والإطلاع الخارجى، وإلحاقهم بنوادى العلوم، ومنحهم المكافآت التشجيعية، وإشراكهم فى الرحلات والمعسكرات.

وكما أوضحنا. . فإن الطفل الذكى المتفوق ليس مشكلة فى حد ذاته، بل إن مكمن الخطر هو أسلوب معاملته، فالآباء الذين يصرون دائمًا على اعتبار أبنائهم من الموهوبين والعباقرة، إنما يساعدون بهذا المسلك على إذكاء روح التمرد والشعور المتزايد بالثقة فى النفس، التى قد تصل بهم إلى حد الغرور، وتكون النتيجة عكسية، وفى الاتجاه المُضاد تمامًا، فيهمل الأطفال الاستذكار ويتهاونون فى أداء واجباتهم، فتتراكم عليهم الدروس، فيفشلون فى التحصيل المثالى، وقد يرسبون فى الاختبارات.

ونحن لا نطلب من الآباء سوى تنمية مواهب أطفالهم، ولكن دون أن يدفعوهم إلى الغرور، وألا ينتقدوهم لكثرة استفساراتهم، بل يجيبوا عنها بروح الودِّ والقبول، ولامانع إطلاقًا من شراء اللُّعب المختلفة المفيدة التى تنمى قدراتهم وإمكاناتهم الذهنيَّة والعقليَّة.

ويجب أن ننبه الآباء والمُعلِّمين إلى خطورة الاهتمام بالأطفال على أنهم أذكياء وعباقرة؛ فيطلبون منهم الوصول إلى مستوى عالٍ من التحصيل، هم فى حقيقة الأمر أقل مستوى من الوصول إليه، فيصاب الأطفال بالإحباط والشعور بالمرارة لعجزهم المتوقع؛ الأمر الذى يؤدى إلى العصبيَّة والتوتر والجنوح، أو إلى الانزواء والإغراق فى أحلام اليقظة.

الحركات الخاصة الناتجة عن عصبية الأطفال :

* مص الإبهام أو الأصابع «THUMB SUCKING» :

ضرب من الساديَّة الفميَّة التى يمارسها الطفل، حين يعمد إلى وضع إبهامه فى حلقه أو إلى مصّ إصبعه بشكل عام، ويعتبره المحللّون النفسيون من الظواهر الدّالة على مغزى جنسى له علاقة بالكبت والاستعاضة عن وضع الثديين. ومصّ الأصابع فى الشهور الأولى عمليَّة طبيعيَّة يلجأ إليها كل الأطفال، وتقع الخطورة الحقيقية إذا استمر مصّ الأصابع إلى سن متقدمة كالعاشرة مثلاً، وفى هذه الحالة تعتبر هذه الحركة عرضًا من أعراض الاضطراب النفسى والعصبى، وقد يصاحب ذلك أحلام يقظة أو سرحان أو اكتئاب، ويزداد بالتالى مصّ الأصابع عند مواجهة بعض المشاكل أو عند الفشل أو الإخفاق، والمعلوم أنه لا يُجْدِى تحذير الآباء للطفل وتنبيههم له بالإقلاع عن هذه العادة. . وإذا أردنا علاج هذه الحركة فلابد من علاج الحالة النفسيَّة للطفل، وكذلك الحالة الأسرية التى يعيش فى كنفها الطفل، ونركز ما أمكن على علاقة هذا الطفل بوالديه وإخوته، ذلك فى محاولة جادة لإشباع الحاجات النفسيَّة له كالشعور بأنه محبوب ومطمئن، وأنه يحظى بالتقدير والإيثار.

وقد تكون إحدى وسائل العلاج الناجحة هى شغل وقت فراغ الطفل بنشاط يدوى وذهنى، يَحولُ بينه وبين وضع يده فى فمه ويشعره باللذة، فى الإنتاج بممارسة هوايات وأنشطة نافعة، أمّا استعمال العقاب والتأنيب والتوبيخ كعلاج لهذه الحالة، فإنه يُعقد الحالة ويزيد من اضطراب الطفل نفسيّاً وسلوكياً.

* قضم الأظافر «NAIL BITING»

عادة قوامها اللجوء من جانب الأولاد والبالغين إلى عضّ الأظافر النامية فى أصابع اليدين ومحاولة قضمها. وهى من العادات التى يتعذر استئصالها بسهولة، وحمل المرء على الإقلاع عنها تمامًا. وقضم الأظافر، وقرض الأقلام، أو حتى عضّ الأصابع ظاهرة تدل على انفعال الغضب أو الشعور بالحرج، وهو من ظواهر أعراض التوتر النفسى والعصبى، وقد يكون نتيجة لعدم القدرة على

التكيف مع البيئة، أو عدم مواجهة بعض مواقف الحياة. وكثيراً ما تزداد هذه الحالة عند التلاميذ أثناء الامتحانات، أو عند تعرضهم لمواقف حرجة أمام أقرانهم، وبذلك يمكن أن يفسر قضم الأظافر بأنه وسيلة سلبيّة لاستنفاد التوتُّر النفسى والعصبى، ووسيلة للهروب من مواجهة الواقع، وكما ذكرنا. . فإن العقاب أو التوبيخ لايُجْدِى فى علاج هذه الحالة كما فى مصّ الإبهام.

وممّا يساعد على علاج هذه الحالة إجراء التصحيحات اللازمة فى علاقة الطفل بوالديه ومُعلِّميه وكل من فى البيئة لإشباع حاجاته النفسيّة، ثم مساعدته على إثبات ذاته بأسلوب توافقى، مع الاهتمام بالأنشطة الترويحية، مثل: زيارة المتاحف والأماكن الأثرية وقيامه بالرحلات العلمية أو الترفيهية، ومشاهدة برامج التلفاز (التليفزيون) الهادفة والمفيدة، وكذا التنزه فى الحدائق. هذا. . وقد أجرى علماء النفس عدداً من التجارب البارزة؛ حيث توصلوا إلى طريقة الإيحاء العلاجى فى أثناء النوم، ونجحوا فى جعل الذين اعتادوا قضم أظافرهم يقلعون عن تلك العادة.

الحركات العصبية اللاإرادية الناتجة عن عصبية الأطفال :

قد يعانى بعض الأطفال من حركات عصبيَّة لاإرادية، تتخذ صفة العادة، ومنها: هز الساق بطريقة شبه مستمرة، ورمش العين فى تلاحق مستمر، وتحريك الأنف ذات اليمين وذات اليسار، وتحريك جوانب الفم، وتحريك الرقبة يميناً ويساراً أو إلى الخلف، وكلها تتم بطريقة عصبيَّة تلقائيّة متتابعة، وحينما تتأصل هذه الحركات العصبيَّة فى الطفل. . فإنه لا يَقْوىَ على منعها مهما نُبه أو زُجر أو حتى عُوقب، وكما سبق أن أوضحنا. . فإن مثل هذه الحركات هى فى الواقع وسائل للتخلص من التوترات العصبيَّة الناتجة عن اضطرابات نفسيَّة حادة، ونؤكد من جديد أن محاولات التنبيه والزجر والتوبيخ والعقاب لاتفيد فى الشفاء من هذه الحركات العصبيَّة اللاّإرادية بل تزيدها وتثبتها، وذلك لزيادة عصبيَّة الأطفال وتوترهم.

ومن خلال التجارب الواقعية، نؤكد أن إهمال هذه الحركات العصبيَّة، وعدم التنبيه إليها سواء من الوالدين أو غيرهم يؤدى إلى تحسن الحالة، مع ضرورة الاهتمام باختلاط الطفل بالأقران والأصدقاء لممارسة وسائل اللهو واللَّعب الجماعى، مع إقلال الوالدين من القلق على الطفل، أو التدليل المفرط، مع إشباع حاجاته النفسيَّة من حبٍّ وأمن وتقدير وتأكيد ذات وانتماء، مع ضرورة تعاون الأسرة مع المدرسة فى العلاج كأن تشجعه المدرسة على مزاولة وممارسة الأنشطة الرياضيّة والفنية والثقافيّة والترويحيّة.

حتي نقي أطفالنا من داء العصبية :

* الأبناء الذين يعانون من العصبيَّة عاشوا فى منازل يسودها التوتر والقلق، ولذلك يجب على الآباء ضبط سلوكهم، وإشاعة جو من الهدوء والأمن والسعادة داخل المنزل.

* كثيرٌ من الآباء يتدخلون فى كل كبيرةٍ وصغيرةٍ من شئون أطفالهم، بحيث لا يشعرون بحريتهم وذاتيتهم فينشأون معتمدين على الآخرين؛ لذلك يجب على الآباء عدم التدخل فى شئون أطفالهم إلاَّ بالقدر المعقول من التوجية والإرشاد، وأن يتركوا لهم حرية التصرف فى شئونهم بالقدر المناسب من النصح والتبصير.

* من الآباء من يتحمس لفكرة عدم اختلاط الأبناء مع أترابهم وأقرانهم، إمَّا خوفًا من الحسد أو من فرط الخوف عليهم، فيشب هؤلاء الأطفال دون نمو كافٍ لشخصياتهم اجتماعيًّا، ولذلك على الآباء إتاحة الفرص لأبنائهم لممارسة نشاطهم الاجتماعى السوى مع الآخرين.

* عدم التفريق فى المعاملة بين الأبناء، وعلى الأخص إيثار الأبناء الذكور على الإناث، مع إشباع الحاجات النفسيّة للأبناء كشعورهم بالحبِّ والإيثار والتقبل والتقدير والأمن والأمان بدرجة معقولة ومقبولة دون تدليل مفرط أو مبالغ فيه؛ حتى لا نخلق منهم أفرادًا يميلون إلى السيطرة على البيئة وفق هواهم.

* كثيرٌ من الآباء يعتمدون فى تربيتهم لأطفالهم على القسوة والتحقير

والتعنيف، وهى أساليب من شأنها أن تؤثر سلبًا فى نمو شخصياتهم، ولا تؤتى إلاَّ بالعصبيَّة والعدوانيّة، أو الانسحابيَّة والانطواء؛ لذلك ننصح الآباء والمربين بالبعد عن تلك الأساليب، التى تدمر الصحة النفسيَّة للأطفال.

* تؤكد الدراسات أن عصبيَّة الأطفال ليست وراثية بيولوجية عن طريق الدم من الآباء إلى الأبناء، كما كان يُعتقد فى السابق، وإنَّما هى سلوك مكتسب ومُتعلَّم أو نتيجة لكبت الآباء للأبناء، ولذلك يلزم التحلى بروح الهدوء والاتزان والأناة والصبر فى التعامل مع الأطفال.

* كثيرٌ من المدارس تهمل الهوايات والرياضات البدنية ومزاولة الأنشطة الفنيّة والموسيقيّة والكشفيّة، على اعتبار أن هذه الأنشطة إنَّما من قبيل الأهداف الهامشية، أو على أنها أنشطة قد تتسبب فى ضياع الوقت، الذى من المفروض أن يُدخر لمواجهة الكم الهائل من المعلومات والمعارف التى تحتويها المقررات الدراسية؛ لذلك نُطالب بضرورة أن تُغير المدرسة من دروها التقليدى الجاف؛ حتى نستطيع مواجهة تحديات المستقبل بخَلْق جيلٍ من المبدعين والرياضيين والعلماء والأدباء والقادة ورجال الدين، حتى تتبوأ الأمة العربية مكانتها المرجوة واللائقة.

الفصل الثانى

الغضب والعناد



الغضب والعناد

تظهر على الأطفال قبل سن الخامسة مظاهر انفعالية، مثل:

* ضجر، وغضب، واستثارة.

* قسوة، وعدوان.

* كثرة بكاء، وعناد.

ودلت الأبحاث على أنه كلما تقدم الطفل فى السن، اتجهت الأعراض السابقة إلى الزوال، ودلت الأبحاث أيضًا على أنه كلما كانت تلك الأعراض لاتزال مستمرة - وخصوصًا بعد سن الخامسة - اتجهت إلى الثبات، ومن ثمّ أصبحت مشكلة سلوكية؛ لذلك يمكننا أن نغض النظر - بلا قلق - عن تلك الأعراض الانفعالية للأطفال دون الخامسة؛ لأنها فى حكم الظواهر السلوكية الطبيعية، ولكن يجب الاهتمام بتلك المظاهر بعد سن الخامسة، على أنها أعراض غير مطمئنة، نتجت عن سوء التكيف كالغضب الدائم، والعناد المستمر.

مظاهر الغضب وأسبابه في مرحلتي الرضاعة والطفولة المبكرة:

فى هاتين المرحلتين من حياة الطفل نجده يثور ويغضب، إذا لم تحقّق له الأسرة رغباته، أو إذا فشل فى جذب انتباه من حوله، كما يثور أثناء استحمامه

أو خلع ثيابه وتبديلها. وتتفاوت مظاهر الغضب عند الأطفال دون الخامسة من: ضرب الأرض بالقدمين والرفْس والقفز، ويصاحب هذه الأعراض البكاء والصراخ، أو قد يلجأون إلى العض على الأنامل أو جذب الشعر.

ودور الوالدين فى هاتين المرحلتين من العُمْر يجب أن يهدف إلى مساعدة الطفل وتدريبه على ضبط انفعال الغضب والسيطرة عليه، ولكن ليس معنى ذلك أن يدرِّباه على ألاَّ يغضب أبدًا، حيث نصل به إلى درجة ملحوظة من السلبيَّة والبلادة، بل يكون موقف الأبوين من الطفل موقف توجيه فى الاتجاه السليم.

وأغلب أسباب غضب الأطفال فى هاتين المرحلتين.. تعود إلى علاقة الأبوين بالطفل، وكذلك علاقته بإخوته، ومدى تحكم كل هؤلاء فى تصرُّفاته، وفرض رغبات محددة تتصل بمواعيد ذهابه إلى الفراش، أو تناول طعام معين، أو باتباع عادات صحيَّة معينة تتصل بالتبوُّل أو التبرُّز أو تمشيط الشعر أو الاستحمام.

ومن الأسباب التى تؤدى إلى الانفعال والغضب هو إخفاق الطفل فى قيامه بعمل من الأعمال، يرغب فى إنجازه ويحقِّق به ذاته.

وقد ينفجر الطفل غاضبًا دون ما سبب واضح، ولكن إذا ما دققنا فى البحث وجدنا أنه يهدف إلى جَعْل نفسه مركز الانتباه وبؤرة الاهتمام، بدلاً من ذلك المولود الجديد الذى نال الاهتمام والتدليل من الأسرة؛ خاصة من الأمِّ.

وقد يكون سبب انفجار الطفل فى البكاء والغضب بسبب خلل جسدى كالإصابة بالمغص أو نزلات البرد أو ارتفاع درجة الحرارة أو التهاب اللوزتين، الأمر الذى يحتم أن نعرف السبب الحقيقى للغضب والبكاء؛ حتى إذا ماتبين أن السبب جسمانى، وجب على الأبوين عرضه على طبيب متخصِّص دون إبطاء.

مظاهر الغضب وأسبابه في مرحلتي الطفولة الوسطي والمتأخرة :

تأخذ مظاهر الغضب بعد سن الخامسة شكل الاحتجاجات اللفظيَّة، بينما قد يلجأ طفل التاسعة أو العاشرة إلى المقاومة السلبيَّة التى تبدو فى التمتمة بألفاظ

غير مسموعة، كما أن بعض الأطفال إذا غضبوا لازمتهم الكآبة والميل إلى الانزواء، ويعتبر هذا المسلك من أخطر المسالك الضارة بالصحة النفسيَّة للطفل؛ لأنه قد يدفعه نحو «التمركز حول الذَّات» والجنوح غير المستحب لأحلام اليقظة.

ويمكن تلخيص أساليب الغضب عند الأطفال بوجهٍ عام فى أسلوبين :

الأول : إيجابى، ويتميَّز بالثورة والصراخ، أو إتلاف الأشياء. وهى أساليب إيجابيَّة حيث يفرغ فيها الطفل الغاضب شُحْنة الغضب، ويعبر عنها بصورة ظاهرة.. وهى فرصة طيبة لتفاهم الوالدين معه، والوصول إلى حلول مُرضية، والكشف كذلك عن مواطن الأخطاء وبالتالى تصحيحها له.

الثانى : سلبى، ويتميّز بالانسحاب والانزواء أو الإضراب عن تناول الطعام، وهذه أساليب سلبيَّة لأنها تعتمد على الكبت، فالطفل الغاضب لا يفرِّغ شحناته الانفعاليَّة، بل تظل تؤرِّقه دون أن يبوح لأحد، فيكره الحياة، وينسحب من الواقع، فيقع فريسة للأمراض النفسيَّة؛ لذلك يلزم الآباء والأمَّهات أن يتنبهوا إلى أن الطفل الذى لا يعبِّر عن غضبه هو الذى يجب أن نوليه الرعاية؛ حتى يستطيع أن يعبِّر عن انفعالاته بوضوح، ثم نقوم بتهذيب وتقويم وإصلاح وسائل التعبير تلك.

الجو الأسري وتأثيره علي نوبات الغضب والعناد :

الأسرة هى البوتقة التى تصهر الطفل فتنقِّى سلوكه ورغباته من كل شائبة من شأنها أن تعيق صحته النفسيَّة فيما بعد. والطفل الذى ينخفض معدل غضبه وعناده بشكل ملحوظ، هو طفل يعيش فى جو أُسَرِى مُسْتقِر، ويتصف بأن كلا الوالدين يحب ويحترم الآخر، يهيئان له جوّاً من الدفء العاطفى الذى يُشْبِع حاجاته النفسيَّة، وينمِّيان قدراته ومهاراته التى حباه الله إياها، ويشعرانه بالأمن والأطمئنان والحب، لا يتناقضان فى معاملتهما له.. فهذا يرفض وذاك يلبى، بل يعاملانه بثباتٍ وفق قواعد ومعاييرٍ مُقَنَّنة اتفقا عليها مسبقًا.

أمَّا الأسرة التى تسودها التوتُّرات الانفعاليَّة الشديدة، والثورة والهياج لأقل الأسباب، وسوء العلاقة بين الزوجين، وعدم القدرة على تجاوز الخلافات

والمشكلات، وأحيانًا عدم التعاون والسلبيَّة بينهما حول أسلوب تربية الطفل؛ فالأبٌ يقسو والأمٌ تدلّل، وكل هذه العوامل تؤدِّى بالطفل إلى توتُّره واضطرابه، الذى يأخذ صورة نوبات الغضب والعناد والبكاء.

كيف يستخدم الأطفال أسلحة الغضب والعناد في مواجهة سلطة الوالدين ؟

ينبغى أن تكون سلطة الأبوين فى تقويم سلوك الطفل وتوجيهه ثابتة غير متناقضة. فماذا سيكون الحال لو أن الأبَّ أجاب رغبات طفله، والأمَّ رفضت تلْبية هذه الرغبات؟

من المتوقَّع أن يلْجأ الطفل إلى نوبات الغضب والبكاء، ثم سيلجأ إلى الطرف الآخر مُستدرًا حمايته على أمل أن يجيبه إلى ما يريد، فى هذه الحالة قد تُجاب رغباته تحت تهديد سلاح الغضب والعناد، فيتعلَّم الطفل أنه كلَّما أراد تحقيق شيء وقوبل بالرفض، فعليه أن يلْجأ إلى سلاحه الفعَّال؛ لأنه يتوقع أن التراجع سيكون شيمة أبويه كليهما أو أحدهما، ثم يبدأ الطفل فى تعميم سلوكه هذا فى محاولة منه للسيطرة على البيئة الخارجيّة بالطريقة نفسها، وهنا تكمن الخطورة الحقيقية؛ إذ سيصبح الانفعال بالغضب والعناد أسلوبه اللاشعورى، الذى سيلجأ إليه فى حل مشاكله حتى فى الكبر ممّا يعرضه للمساءلة ووسائل العقاب، التي يشهرها المجتمع إزاء الخارجين عن معاييره ولوائحه وقوانينه. ويجب أن نلاحظ أن بعض الأطفال لا يستخدمون سلاحهم هذا إلاَّ مع من سبق ونُجح معهم هذا الأسلوب.

وهناك نوعٌ آخر من الأطفال يتعمَّدون إحراج آبائهم بالصراخ والبكاء والعناد لتحقيق رغباتهم، خصوصًا أمام الضُّيوف أو الأقارب لأنهم يشعرون أن هؤلاء سيشفعون لهم لدى آبائهم.

كل هذه الحيل يلجأ إليها الطفل اعتمادًا على خبرة مسبقة فى تعامله مع أبويه؛ لأنه يدرك تمامًا حدود والديه وطبيعتهما فى التعامل مع غضبه وعناده، فنراه يستخدم سلاحه السحرى مع الشخص المناسب وفى الوقت الملائم تمامًا.

تعدد سلطات الضبط والتوجيه، وأثرهما

علي نوبات الغضب والعناد :

من المؤكد أن تعدد سلطات الضبط والتوجيه لسلوك الطفل يؤدى حتمًا إلى ارتباك الطفل وثورته وغضبه وعناده، ويحدث هذا فى الغالب عندما يعيش الطفل فى منزل العائلة الذى يضم الجدَ والجدة، والأعْمَام، والإخوة الكبار بالإضافة إلى الوالدين، ويكون بالطبع لكل منهم سلطة توجيه الطفل ونقده، وكلٌ منهم يرى أسلوبًا معينًا لتحديد السلوك وطبيعته وماهيته، والطفل فى مثل هذه الأجواء العائلية يشعر بالارتباك وبتعدد السلطة الضابطة.

فالأمُّ فى هذا الجو تقوم بتقويم سلوك الطفل برؤيتها الخاصة، فهى ترفض تمامًا إجابة طلباته تحت تهديد الصراخ والبكاء، بينما ترى جدته عكس ذلك، فهى تتدخل فتنهر ابنتها على معاملتها التى تتسم بالقسوة (من وجهة نظرها)؛ فتحنو على الطفل وتجيب طلباته.

ومعنى ذلك أن الطفل يعيش فى بيئة تعددت فيها السلطات، وقد يؤدى ذلك إلى شعور الطفل بالقلق النفسى، وعدم الاطمئنان إلى تحقيق رغباته لتضارب استجابات أفراد العائلة إزاءها، ممَّا يجعله يلجأ إلى نوبات الغضب كوسيلة للسيطرة على البيئة وعلى اعتراضات بعض أفرادها نحو مطالبه. إن تضارُب السلطات الضابطة بين التشدُّد واللين يجعلها ضعيفة بكل تأكيد.

غضب الآباء ينعكس سلباً علي الأبناء :

أدى تعرض الآباء للمشكلات الخارجية، والضغوط النفسيَّة نتيجة لإيقاع الحياة السريع الصاخب، إلى افتقار معظم الأُسَر للهدوء والسكينة والاتزان الانفعالى؛ حتى أن الزوجة التى تشارك زوجها وتقاسمه أعباء العمل خارج المنزل، ثم الأعباء التى تنتظرها أيضًا لدى عودتها إلى المنزل... كل هذا جعلها فى شبه ثورة انفعاليَّة، نتيجة للشَّحن النفسى والمعنوى السَّلبى الذى تتعرض له.

هذه الأوضاع الأُسَرية التى فرضتها تلك الظروف البيئيَّة الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة جعلت السِّمَة البارزة للوالدين هى العصبيَّة المفرطة، والغضب الشديد، سواء فى تعاملات كل منهما مع الآخر أو فى تعاملاتهم مع أبنائهما. هذا بالإضافة إلى أن بعض الآباء لديهم الاستعداد النفسى للعصبيَّة المرضيَّة، التي تجعلهم يثورون لأتفه الأسباب؛ ممَّا يؤدِّى إلى شجار دائم داخل المنزل.

كذلك.. فإن عدم التوافق بين الزوجين سواء العاطفى أو الوجدانى أو الفكرى يدعِّم مبدأ العصبيَّة السائدة فى علاقتهما أصلاً، فتنعدم بالتالى فرص الالتقاء على قرار معين، فيعمُّ التوتُّر أجواء الوسط الأسرى. كل هذا ينتقل بالتالى إلى الأبناء لأنهم فى حقيقة الأمر يقتدون بالأبوين، ومن ثم ينقلون عنهم الغضب والعصبيَّة والتوتُّر وسرعة الاستثارة. وعلى ذلك لابد أن نشير إلى أنه يتحتَّم على الآباء نسيان مشاكلهم، التى يواجهونها خارج المنزل، حتى ينال الأطفال القِسْط الوافر والضرورى من الهدوء والسكينة والاتزان.

وعلى الآباء أن يدركوا أن الطفل الذى يعانى من القسوة والاضطهاد، وفقدان الأمن والطمأنينة والحرمان من الدفء العاطفى، يفشل فى تكيفه السوى دراسيًّا واجتماعيًّا ونفسيًّا سواء داخل المنزل أو خارجه، فقد يفشل فى مسايرة أترابه فيتأخر عنهم فى التحصيل، وقد يتحوَّل من طفل وديع مسالم إلى آخر يدبر المكائد لإخوته وأقرانه، بل وللمُعلِّم ذاته - لأنه يرى فيه صورة متطابقة من أبيه صاحب السلطة والقسوة والنفوذ - فنراه يكيل الافتراءات، ويختلق الأكاذيب حول شخصيَّته وسلوكه بدافع الانتقام والتشفى.

الإفراط في تدليل الأطفال، وأثره على نوبات الغضب والعناد:

يؤدى تدليل الأبوين للطفل إلى ظهور نوبات الغضب والعناد، والتدليل ينطوى على إجابة كل مطالبه ورغباته الممكن منها وغير الممكن، والمهم منها وغير المهم، وعلى ذلك فالطفل لا يتعود تأجيل هذه المطالب والرغبات.

وفى تطورٍ آخر، يتوقع الطفل أن البيئة سوف تجيبه أيضًا إلى ما يصبو وما

يريد، فيعتقد مثلاً أن المدرسة سوف. تجيبه إلى ما يريد من رغبات دون تباطؤ أو تأجيل كما كانت تفعل أسرته، ولكن حينما تقابل رغباته بنوعٍ من المنع أو الإعاقة تكون الصدمة شديدة وقاسية، ولها مضارها النفسيَّة العميقة؛ فيلجأ الطفل بطبيعة الحال إلى أساليب الغضب والعناد والتوتُّر. وتدليل الأطفال وإيثارهم على نحوٍ مُبالَغٍ فيه يعنى أننا لا نؤهلهم التأهيل الصحيح لمجابهة الحياة بكل مصاعبها.

وتعرض الطفل لقدر يسير من «الإحباط» ـ الذى يقصد به تأجيل بعض المطالب والرغبات لتشبع فى حينها، حيث إننا لا يمكننا أن نتصور حياة بلا إحباط، أو لا يمكن أن نتخيَّل أنه يمكننا تحقيق كل رغباتنا ومطالبنا فى وقت واحد ـ يفيده على مواجهة الحياة. كما أن هذا التأجيل يقوِّى فى الطفل جهاز «الأنا» (Ego) حسب نظرية التحليل النفسى «لفرويد»؛ حيث إن الأنا هو الجهاز الذى يكبح جماح الشهوات والغرائز، والمسئول عن تأجيلها إلى الوقت المناسب لتشبع فى حينها، فيتكيَّف الفرد تكيُّفًا سليمًا مع البيئة الخارجيَّة المحيطة به.

والطفل المدلَّل يشب فردًا أنانيًّا يرى نفسه فقط، ولا يستطيع أن يُدخل الآخرين فى حيِّز حياته أو اعتباره، يثور ويغضب كلَّما عجز عن تحقيق رغباته وأهوائه، يتمركز حول ذاته، مقتنعًا بأن الكل سيلبى ما يريده، ولن يجرؤ كائن من كان فى أن يقول له «لا»، فيشبُّ شخصًا هشَّ التكوين، لا يستطيع أن يواجه صعوبات الحياة التي تحتاج إلى أشخاص يواجهون المشكلات الحياتيَّة بشجاعة وإصرار، يحاولون مرارًا وتكرارًا، يفشلون مرة ومرات، دون أن تُثبَّط لهم عزيمة، يرون مغريات الحياة فيغضُّون الطرف عنها؛ مفضِّلين دائمًا إيثار القيم والمبادئ التى تعلموها، ونشأوا فى كنفها بمثابة ضوابط داخليَّة وخارجيَّة للسلوك.

العناد إحدي وسائل إثبات الذات عند الأطفال :

الأطفال جميعًا يمرُّون بفترة من عُمْرهم، يميلون فيها إلى «إثبات الذّات» وأحد مظاهره «العناد»، ويقرِّر العلماء أن الطفل الذى لا يمر بفترة يثبت فيها ذاته

وشخصيته هو طفل غير سوى. والعناد الطبيعى غير المبالغ فيه مرحلة طبيعية من مراحل النمو النفسى للطفل، وله أهمية كبيرة فى حياة الطفل، نوجزها فى التالى:

* يساعد الطفل على الاستقرار واكتشافه الفريد لنفسه.

* يساعد الطفل على إدراك أنه شخص له كيان وذات مستقلان عن الآخرين.

* يكتشف الطفل أن له إرادة حرة، وهذا يُكْسِبه صفات الفردية والاستقلال.

ومع مرور الوقت، ووصولاً إلى مراحل النضج يكتشف الطفل أن العناد والتحدِّى، ليسا هما الطريقين السويين لتحقيق مطالبه وغاياته بما يحقِّق له الرِّضا والسعادة، فيتعلّم العادات الاجتماعيَّة السويَّة فى الأخذ والعطاء، ويتفهَّم أن التعاون يفتح له آفاقًا جديدة فى الحبّ والإيثار، وعلى الأخصّ لو كان الأبوان يعاملان الطفل بالمرونة والتفاهم والمودَّة.

والطفل ينتقل من مرحلة العناد والتشبُّث إلى مرحلة الاستقلال النفسى فى الفترة من الرابعة إلى السادسة من عمره، وكلَّما كان الأبوان على درجةٍ مقبولة من الصبر والتفاهم مع الطفل، ساعداه على اجتياز هذه الفترة بسلام.

والأمُّ التى تتصف بشدَّة الحزم، وتتعامل مع أطفالها بأسلوبٍ صارمٍ لا يخلو من الأوامر والنواهى فإن أطفالَها يقلِّدونها، ومن ثمَّ يلجأون إلى العناد والتصميم مثلها تمامًا.

فليكن تعاملنا مع الأطفال تعاملاً يحقِّق ذاتيتهم، ويساعدهم فى تطوير ونمو شخصياتهم على نحوٍ سوىٍ، ونؤكّد أن إرْغام الطفل على الطاعة العَمْياء، ليس بالقطع هو الطريق الوحيد لحلِّ كافة المشكلات معه، بل نرى أن المرونة، واتباع أسلوب التحاور، والتربيَّة الاستقلاليَّة الموجَّهة، وإشاعة جوٍ من الدفءِ العاطفى كُلُّها عوامل تَحول بينه وبين الغضب أو العناد.

حتي نجنب أطفالنا مخاطر الغضب والعناد :

* يجب أن يحافظ الآباء قدر المستطاع على هدوئهم واتزانهم الانفعالى إزاء ثورة الغضب التى يمرُّ بها الطفل، وإذا كان من حق الطفل أن يعبّر عمّا يَجيشُ بصدره من غضب، فلا يكون بالبكاء أو الغضب أو العناد لذلك ينبغى أن يُطلب من الطفل أن يتحدَّث بصراحة عمَّا يُغضبه ويُؤَرِّقهُ ويفسد صفوه، وأن يؤكدوا له بعد الانتهاء من ثورته الانفعاليَّة وغضبه، أنه على الرغم من كل هذا فإنه ما يزال الابن المحبوب، ذلك ليعلّموه التسامح والعفو عند المقْدرَة.

* يتحتَّمُ على الآباء أن يكونوا القُدْوة الصالحة، والمثَلَ الأعلى لأطفالهم، ولهذا ينبغى أن يتحلَّوا بالصبر واللِّين ونفاذ البصيرة، وأن يُقلعوا تمامًا عن عصبيَّتهم وثورتهم أثناء تعاملهم مع أطفالهم حتى لا يقلِّدهم أبناؤهم، مع التحلّى بالمقدرة على حلّ المشكلات فى الوقت المناسب، وبأكبر قدرٍ ممكنٍ مع المعقولية والقبول، حلولاً يسودها العدل والمحبة والتفاهم.

* أن يحذر الآباء من تلبيَّة رغبات أطفالهم تحت تهديد البكاء أو الغضب أو العناد، فلا ينبغى أن يُثاب الطفل بحجَّة حدَّة الطبع لأن الإثابة أو المكافأة لاتُعطى أو تُمْنَح إلا عندما يُظهر الطفل سلوكًا سويًّـا متَّزنًا، خاليًا من الغضب أو العناد، وبذلك يتعلَّم الطفل أن السلوك الطيب، والطبع الهادئ، والخُلق القويم إنَّما هى الأسلحة الصحيحة والسويّة لنَيْلِ ما يبغى وما يُريد.

* نُحذِّرُ أيضًا من تدخُّل الآباء تدخُّلاً مباشرًا فى شئون أبنائهم، كأن يحددوا مثلاً مواعيد الطعام أو النوم أو الاستذكار، دون مراعاةٍ لظروف الطفل وإمكاناته واستعداداته ورغباته. والأصوب أن يتدخل الآباء بأسلوبٍ مرنٍ، متّزنٍ، مُقَنَّنٍ. وليتذكَّر الآباء أن الطاعة العمياء كنظامٍ ينبغى تطبيقه، لايخلقُ طفلاً ذا شخصيَّة قويَّة، مستقلة، واثقة. بل يخْلقُ منه شخصًا خائرًا، واهنًا، ضعيفًا، وهذا بالقطع ما نخشاه ولا نبغيه، لذلك على الآباء الإقلال من رَصْد تحرُّكاتِهم أو

تصرُّفاتِهم؛ حتى لايشعروا بكابوس السلطة الوالديّة؛ فالحريّة الموجّهة، المسئولة، هى أعظم ما يمكن أن يقدِّمَه الآباء إلى أبنائهم.

* الحذر من مناقشة مشكلات الطفل أمام الغُرباء، سواء من الأهل أو المقربين أو الأصدقاء، بل نُحذّرُ من مناقشة تصرُّفاتِهم ومساوِئهم فى حضورهم، أو على مَسْمعٍ منهم، كما لا يجوزُ استِعْمالُ العنف أو القسوة أو حتى النقد العابر لإرغام الطفل على الطاعة والهدوء.

الفصل الثانى

العدوان



العدوان

يمثل العدوان ظاهرة سلوكية مهمة فى حياة الأفراد، فهو ملاحظ ومعروف فى سلوك الإنسان السوى وغير السوى، وفى سلوك الطفل الصغير والراشد الكبير.

. . . والعدوان مفهوم غامض، تتعدد معانيه وتتداخل العوامل التى تمهد له، وتتنوع النظريات المفسرة لماهيته، من هنا اختلفت الرؤى والتفسيرات، التى حاولت تحديد مصادره ووسائله وغاياته ونتائجه. .. فهل العدوان مرفوض بشتى صوره وأشكاله؟ أم أنه سلوك طبيعى له وظيفة؟ وهل العدوان سلوك متعلم يمكن التحكم فيه وتوجيهه؟ أم هو استعداد فطرى فسيولوجى عصبى ينشأ تلقائيًّا من داخل الإنسان؟

. . . على أن علماء «التربية» EDUCATION «وعلم النفس» PSYCHOLOGY وعلى رأسهم «سيجموند فرويد» (Sigmund Freud)، ويؤكدون أن للعدوان جانبين أساسيين:

* **الجانب الأول** : هو الجانب السوى (NORMAL) البناء الذى يستخدم «كميكانزم دفاعى» (DEFENCE MECHANISM) درءًا للأخطار، التي تهدد الإنسان من أجل الحياة، والحفاظ على الذات، وتحقيق الوجود، ومقاومة الظلم، والتطلع إلى الحرية.

* **الجانب الثاني** : هو الجانب «غير السوى» (ABNORMAL) الهدام الذى يستخدم ـ عن وعى أو غير وعى ـ كسلاح يعمل لصالح الاعتداء والتخريب والتدمير والفناء؛ بالنسبة للإنسان أو بالنسبة للبيئة الذى يعيش فى كنفها على حد سواء.

. . . من هنا كان اهتمام الباحثين فى مجلات العلوم الإنسانية ـ بصفة عامة ـ وعلماء التربية وعلم النفس ـ بصفة خاصة ـ بظاهرتى العدوان والعدوانية . . وهو ما سنحاول إلقاء الضوء عليه لاستجلاء معالمه، واستبيان نتائجه، وتتبع مراحل تطوره. . حتى نخلص إلى وضع أسس الوقاية والعلاج؛ كى نقى أطفالنا الصغار مغبة الأساليب السلوكية العدوانية المرضية.

تعريف العدوان :

يُسْتَخْدَمُ مفهوم العدوان «AGGRESSION» فى علم النفس وحقوله المختلفة؛ للدلالة على استجابة يردُّ بها المرء على الخيبة، والإحباط، والحرمان، وذلك بأن يهاجم مصدر الخيبة أو بديلاً عنه.

ويُعَرِّف «باص Buss» العدوان على أنه: «سلوك يصدره الفرد لفظيًّا أو بدنيًّا أو ماديًّا، صريحًا أو ضمنيًّا، مباشرًا أو غير مباشرٍ، ناشطًا أو سلبيًّا، ويترتب على هذا السلوك إلحاق أذى بدنى أو مادى أو نقص للشخص نفسه صاحب السلوك، أو للآخرين».

ويعَرِّفُه «بركوتز Berkowitz» بأنه: «السلوك الذى يهدف إلى إلحاق الأذى ببعض الأشخاص والموضوعات».

وعَرَّفه «برترام Bertram» بأنه: «السلوك الذى يصدر عن فرد أو جماعة من الأفراد بقصد إيذاء الآخرين».

ويُعرِّف «روبرت سيرز Robert Sears» العدوان بأنه: «حدثٌ يقصد فيه الطفل عمدًا إيذاء شخص آخر أو شىء آخر، ولهذا يعتبر ضرب اللُّعبة دون قصد ليس عدوانًا، ونحن لا يمكننا مشاهدة القصد والغاية بطريقة مباشرة، ولكننا نلاحظ الموقف الفعلى، ثم نحاول تخمين القصد والغاية وفقًا لما شاهدناه».

ويرى «عبد الله سالمان إبراهيم» و «محمد نبيل عبد الحميد» أنَّ «العداونيَّة» AGGRSSIVENESS مصطلح يتضمَّن ثلاثة مفاهيم أساسية، هى:

* **العدوان** AGGRESSION، ويقصد به الهجوم الصريح على الغير أو الذّات، ويأخذ الشكل البدنى أو اللفظى أو التهجّم (العدوان الصريح).

* **العدوانيّة** HOSTILITY، ويقصد به ما يحرك العدوان وينشطه ويتضمّن: الغضب والكراهيّة والحقد والشّك، وهو ما يسمى بالعدوان المضْمَر أو الخفى.

* **الميل للعدوان «نزعة عدوانيّة»** AGGRESSIVTY ، ويقصد به ما يوجه العدائيّة؛ أى إنه حلقةٌ تربط بين العدائيّة كمحرك والعدوانيّة كسلوكٍ فعلى.

العدوان فطري أم مكتسب ؟

غرس أصحاب نظرية التحليل النفسى THE PSYCHOANLYTIC THEORY مفهوم العدوان على أساس أنه طبيعةٌ فطريّة فى التكوين الإنسانى، وأنه بالتالى ليس مكتسبًا، معترفين بأن أساليب التربية والتنشئة الاجتماعيّة تسهم بدرجاتٍ متعددةٍ فى مدى كبر حجم هذه العدوانيّة أو صغرها، وهم يرون أن إمعان الطفلَ العدوانى فى سلوكه إنّما يرجع إلى استخدام الأساليب الخاطئة فى تقويمه كتوجيه اللّوم الشديد إليه، أو عقابه بالضرب، وعلى ذلك فقد ذهب أصحاب هذه النظرية فى تحديد مفهوم العدوان إلى أنه سلوك واعٍ شعورى، وأنه كذلك مجموع المشاعر والدوافع، التى تتضمن عنصر التدمير، ويعتبره البعض أنه النشاط التخريبى نتيجة الميل الطبيعى للاعتداء والتشاجر. وهذه المفاهيم تشير إلى أن العدوان استعداد فطرى ناشىء عن مصدر ثابت للطاقة يصعب استئصاله، ولكن يمكن استخدامه وتوجيهه فى الاتجاه الإيجابى أو السلبى، ولذلك دعا بعضٍ علماء النفس إلى التسامى بالعدوان كميكانزم؛ للإسهام فى بناء المسيرة التطوّرية للإنسان.

وعند معرفة الأسباب التي تؤدى إلى العدوان، نستطيع أن نتبين أن العدوان ليس مكونًا طبيعيًا فى فطرة الإنسان، حيث إن معظم هذه الأسباب ترجع إلى البيئة التى يعيش بكنفها الطفل، فالله سبحانه وتعالى لم يستخلف فى الأرض مخلوقًا، نسب إليه نمو هذا الكون وتطويره، ويكون ذا طبيعة عدوانيّة؛ ذلك لأن العدوان لاينجم عنه إلاّ التخريب والدمار.

ومع تسليمنا بصحة وجود تلك الطاقة أو الدوافع الكامنة فى التكوين الطبيعى للإنسان، والتى يُطْلَقُ عليها «العدوان» فإن الله عز وجل قد أوجد هذه الطاقة فى الإنسان بهدف المحافظة على ذات الإنسان، وليس للاعتداء أو العدوان على ذوات الآخرين، وفرقٌ كبيرٌ بين أن ننظر إلى تلك الطاقة أو الدوافع على أنها موجودة للعدوان، أو أنها وُجِدَت للحفاظ على ذات الإنسان.

أشكال العدوان :

يقسم العدوان من الناحية الشرعية إلى ثلاثة أقسام، هى :

أولاً : عدوان اجتماعى : ANTI - SOCIAL AGGRESSION

وتشمل الأفعال العدوانيَّة التى يظلم بها الإنسان ذاته، أو غيره وتؤدى إلى فساد المجتمع، وهى الأفعال التى فيها تعدٍ على الكليات الخمس، وهى: النفس والمال والعِرض والعقل والدين.

ثانيًا : عدوان إلزام : PRO - SOCIAL AGGRESSION

ويشمل الأفعال التى يجب على الشخص القيام بها لردِّ الظلم والدفاع عن النفس والوطن والدين.

ثالثًا : عدوان مُبَاح : SANCTIONED AGGRESSION

ويشمل الأفعال التي يحق للإنسان الإتيان بها قصاصًا، ممن اعتدى عليه فى نفسه أو ماله أو عرضه أو دينه أو وطنه.

... كما يقسم العدوان أيضًا إلى: العدوان الكُرْهى، والعدوان الوسيلى؛ فالعدوان الكُرْهى هو الذى يوجَّه نحو الآخرين وتصحبه مشاعر الغضب، أما العدوان الوسيلى فهو الذى يتفجَّر عن صنع شىء أو بلوغه، وهو غير شخصى على الرَّغم من احتمال تعرض الآخرين لآثاره، وقد بينت دراستى «داوز» عام ١٩٣٤، و«هارتوب» عام ١٩٧٤ عن أن عدوانيَّة طفل ما قبل المدرسة وسيليَّة، وأن هذا العدوان الوسيلى يختفى بصورة تدريجية، منذ العام الثانى للطفل

وحتى العام الخامس، كما بيَّنت الدراستان أن اضمحلال العدوان الوسيلى يترافق بتصاعد العدوان الكُرْهى، وأن كلا الاتجاهين يستمرُّ حتى الطفولة الوسطى للطفل، وذلك إضافة إلى انخفاض العداون لدى أبناء السادسة والسابعة، عما هو عليه لدى أبناء ما قبل المدرسة الذين يبدون مقداراً كبيراً من العدوان الكُرْهى.

صور التعبير عن العدوان :

تختلف صور التعبير عن العدوان باختلاف السِّن والثقافة، فضلاً عن أسلوب التربية والتنشئة والتكوين النفسى والنمط الخلقى الذى نشأ عليه الفرد، والتعبير عن العدوان، يتمثَّل فى صور جسميَّة عديدة، منها: المشاعر العدوانيَّة التى تظهر من خلال قسمات الوجه كالتجهُّم والعبوس واحمرار الوجه، وكذلك بالنظرات الغاضبة عن طريق العيون، أو باستخدام الفم عن طريق العضِّ أو البصق وإصدار أصوات الزراية والاحتقار والاستنكار، وباليدين والقدمين فيلوح الغاضب بالثأر والتهديد والانتقام، فضلاً عن استخدامها بالفعل فى الإيذاء بالضرب والخنق والركل، كما تأتى عن طريق الجسم كله بالارتماء على الأرض والرفس والتشنج والإغماء، سواء عند الصِّغار أو الكبار.

وقد يتمثَّل التعبير عن العدوان فى صور لفظية متمثلاً فى: الصياح والصراخ؛ خاصة فى الطفولة، كما تتمثل فى الألفاظ الجارحة والسباب والبذاءة فى القول، وكذلك فى السخرية والتهكُّم وإطلاق النكات.

ومن صور التعبير عن العدوان أيضًا: التمرُّد والعصيان والمخالفة والعناد والتحدِّى والتخلُّف والتدهور والفشل فى العمل، وتظهر واضحة فى الطفولة كعدوان عقابى لمن يهمهم أمر نجاح الطفل. كما أن الإهمال صورة سلبيّة للعدوان؛ حيث يعبِّر عن اللامبالاة وعدم الاكتراث بالآخر أو بالموضوع؛ أى عدم الاهتمام بحاجاته وإشباع رغباته، كما يتضمن التحقير من شأنه والازدراء به؛ حيث يقتضى الأمر عكس ذلك، فالوالد الذى يُهْمِل حاجات طفله ولا يستمع

إليه عدوان يولد عدوانًا فى نفس الطفل، قد يعبر عنه الطفل بعدوان مماثل فى إهمال دروسه، أو بالعناد والمخالفة أو بالتخريب.

مظاهر السلوك العدواني :

معظم الأطفال يظهرون عدوانيّة بشكلٍ أو بآخر، وفى أوقات متغايرة، ولعلّ من أهم مظاهرها ما يلى :

* بعض الأطفال يكشفون عن العدوانيّة فى لغتهم كالتلفُّظ بالسباب، أو الصُّراخ، أو الكلام، أو الاستياء، مثل: «أنا لاأحبك»، و «أنا أكرهك»، فهو تعبير يدلُّ على رفض الآخرين وعدم قبولهم.

* كذلك تظهر العدوانيَّة فى الأفعال العلنية، التى يقوم بها الأطفال بالاعتداء على الغير بالضرب، أو الدَّفع، أو الرَّكل، أو الطَّعن، أو التشاجر، أو التخريب، أو بأى نوع من أساليب الإيذاء، التى يستخدمها الأطفال مع بعضهم كتمزيق الكتب أو الكراسات أو إخفائها، أو تحطيم الأقلام أو إبدالها.

* والعدوانيَّة كثيراً ما تتجه نحو الممتلكات، مثل: خدش الأدراج، أو الكتابة عليها، أو الكتابة على الجدران. وفى هذا يبدو أن الأطفال العدوانيين ينفّذون ما يشبه خطة موضوعة لإتلاف ممتلكات المدرسة أو ممتلكاتهم الخاصة أو ممتلكات الغير.

* وبعض الأطفال يلطخون ملابسهم أو ملابس الآخرين، أو أشياء تخصهم مثل اللُّعب والأدوات. إن حركات بعض الأطفال العدوانيين يمكن أن توصف بأنها سريعة حاسمة مهتزَّة، وأحيانًا وبغير سبب واضح ينتزعون من الأطفال الآخرين أشياءهم.

* والأطفال العدوانيون فى علاقتهم مع المُعلّمين يَظْهَرون أحيانًا بمظهر التدنّى، وعدم الحياء، ويظهر بعضهم بمظهر التحدّى فيميلون إلى المشاحنة والاعتداء.

تطور مشاعر العدوان عند الأطفال :

أولاً : العدوان فى مرحلة الرَّضاعة (من الولادة حتى نهاية العام الثانى) :

تعتبر السنة الأولى من حياة الطفل فترة نمو حَرِجَة؛ فالطفل يبدأ حياته وهو مزوَّد بالشىء القليل من الاستجابات الانفعاليَّة EMOTIONAL للإشارات، التي تصدر عن غيره من الناس. ومن الصعب تحديد العُمْر الذى تبدأ فيه النزعات العدوانيَّة فى الظهور لدى الطفل، ولكن على كل حال يظهر العدوان لدى الطفل فى مرحلة مبكّرة من النمو؛ حيث يبدأ الرضيع INFANT بعض ثدى الأم حين تظهر أسنانه، وهو سلوك قد يكون غير مقصودٍ أو ناتجًا عن إحباط نقص اللبن، وخلال العام الأول تكون لدى الرضيع وسائل تعبيرية للغضب كالبكاء أو الصراخ؛ لأنه لا يستطيع أن يستخدم وسائل رمزية مقنعة، أو أساليب عقلية مجرَّدة.

والطفل عندما يقترب من نهايه عامة الأول، يحاول أن يجرب إيذاء الآخرين فعندما يغضب من أمِّه نجده يحدق فيها بنظرةٍ حانقة، وقد يشد شعرها، والأمُّ الواعية هى التى تُذكّر طفلها بأنها لا تحب منه هذا السلوك، على حين أن أمًّا أخرى تدع طفلها يجذب شعرها، ثم لاتفعل شيئًا سوى أن تلوم الطفل، أو تتظاهر بالبكاء، فيعود الطفل إلى تكرار فعلته الأولى بطريقةٍ أعنف.

ويمكن تلخيص مظاهر الغضب عند الطفل فى تلك المرحلة، على النحو التالى:

* **منذ الميلاد وحتى اثنى عشر شهراً :** صراخ وبكاء عالٍ مشوب بالغضب، وضرب الأذرع والأرجل.

* **فى سن خمسة عشر شهراً:** يقذف بالأشياء، وأهم ما يستثير غضبه التدخل فى مناشطه الجسمانيَّة.

* **فى سن ثمانية عشر شهراً :** انفجارات فى الغضب، يصرخ ويبكى ويطرح

نفسه أرضًا، ويضرب ويرفس، ويدمِّر الأشياء فى غير انتباه ولا قصد، خشن وعنيف مع الأطفال أو الحيوانات.

* **فى سن الواحد والعشرين شهراً** : يشدُّ الشعر، صراخ وبكاء حاد، يصرخ ويبكى لعجزه عن التعبير عن الكلام عن رغباته، التي كثيراً ما تكون طلبًا لتكرار أشياء معينة.

ثانيًا : العدوان فى مرحلة الطفولة المبكرة (من عامين إلى ستة أعوام):

ينشأ العدوان فى هذه المرحلة حين يكتشف الطفل أنه يستطيع أن يجعل الآخرين يسايرون رغباته؛ أى إنه يحصل على الإثابة من البيئة الاجتماعيَّة، بالإيذاء، وعلى ذلك تتحدد أنواع الأساليب التى يتعلمها الطفل بنوع الاستجابات، التى تصدر عن الوالدين وغيرهما.

ويمكن تلخيص مظاهر العدوان وتطوره عند الطفل فى تلك المرحلة، على النحو التالى:

* **فى سن عامين** : يضرب الطفل غيره من الأطفال، ويشترك فى مجاذبة الأشياء وشدها، يفسد نظام البيت ولا يدمِّر الأشياء. وقد يرغب الطفل فى العضِّ كأُسلوب أولى فى الهجوم والدفاع عن نفسه.

* **فى سن عامين ونصف** : يهاجم غيره من الأطفال فى عدوان وتعمُّد للإيذاء فيضرب ويرفس، شديد التدمير للأشياء وخاصة لطلاء الجدران، «يخطف» الأشياء من الآخرين.

* **فى سن ثلاث أعوام** : تكثر لديهم نوبات الغضب حيث يدفعون الآخرين ويضربونهم أثناء هذه النوبات، كما تظهر لديهم مظاهر أخرى كضرب الأرض بالقدمين والقفز والارتماء بالجسم على الأرض، ويصاحب ذلك بكاءٌ وصراخ.

* **فى سن أربعة أعوام** : قد نجد الطفل يلجأ إلى الاحتجاج اللفظى، بدلاً من الهجوم على الفور، والأهم من ذلك هو أن المشاعر العدوانيَّة تتخذ مظهر

اللَّعب، فيمثل الطفل دور المارد الذى يحطم المكعبات الخشبية، أو يمثل رجل الشرطة الذى يطارد اللّص. ويتمثل العدوان الجسمانى فى العضّ والضَّرب والرَّفس، ويتمثل العدوان الكلامى فى السب، المباهاة، والتعيير.

* فى سن خمسة أعوام : قد يضرب الأرض بقدميه، ويصفق الباب بشدة، يسبّ ويلعن، يأتى بأساليب كلامية كالتهديدات مثلاً بقوله: «سأضربك»، ويقاوم التوجيهات بقوله: «لن أفعل هذا».

. . . ويلاحظ ان المرحلة بين الرابعة والسادسة هى الفترة ، التى يتعامل فيها غالبية الأطفال معاملة طيبة نسبيًا مع آبائهم وأمهاتهم، حيث تتملّكهم رغبة جارفة فى أن يكونوا مثلهم مع أنه تظهر منافسة خفيَّة ، فالابن يتعلق بأمه عن طريق اللاَّوعى ، وهى ما نطلق عليها ﴿ عقدة أوديب ﴾ «OEDIPUS COM PLEX» ؛ والابنة تتعلق بوالدها، وهى ما نطلق عليها ﴿عقدة إلكترا﴾ «ELECTRA COMPLEX» وتسفر عنها الشعور بالعداء نحو الأم . لكن هذا الشعور بالمنافسة الخفيَّة الذى يكنه الأبناء للآباء بسبب هاتين العقدتين ينتهى بالتوحُّد (الولد مع أبيه والفتاة مع أمها) والتوحُّد هنا يشمل اعتناق قيم النموذج واتجاهاته .

*** ثالثًا : العدوان في مرحلة الطفولة المتاخرة (من ستة أعوام إلى اثنى عشر عامًا):**

ما أن يبلغ الأطفال سن السادسة حتى يكونوا قد تكوَّن لديهم ضمير رادع لسلوكهم العدوانى ؛ أي يكون قد نشأت فى أذهانهم أفكار عن الخير والشر ، فضلاً عن اكتساب قدر طيب من الضبط الذاتى التى تجعله يحاول قمع النوازع التى يحس أنها خاطئة. إن الطفل في هذه المرحلة قد يحمل في أعماقه شعورًا بالعداء، ولكنه لايشتبك مع الآخرين إلاَّ حينما يستفزه خصمه ؛ كى يدفعه إلى هجومٍ مضاد ، ممَّا يحمل الطفل على الاعتقاد بأنه إنما يدافع عن حقوقه وكيانه .

وقد وجد «فيشباخ Feshbach» أن الطفل يكف عن «ثورات غضبه»

"TANTRUMS" بعد الخامسة ، ليستعمل الألفاظ العدوانية بدلاً عنها، وأن غضبه من الأشياء، يتسبب في عدوانه الآلى INSTRUMENTAL AGGRESSION بينما يتطور غضبه؛ بحيث يصبح نتيجة عدوان عدائى ـ HOSTILE AGGRESSION وليس نحو أشياء، كما كانت الحال قبل الخامسة.

ويمكن تلخيص مظاهر الغضب عند الطفل في تلك المرحلة على النحو التالى:

* **فى سن ستةأعوام** : عدوان بالغ بالجسم وبالكلام، انفجارات في الغضب فقد يلقى بنفسه على الأرض ، يضرب ويرفس وقد يدمر الأثاث والأشياء .

* **في سن سبعة أعوام** : سلوك أقل عدواناً قد ينشب بينه وبين إخوته الصغار، يعترض بالكلام بقوله : " "هذا ظلم" " .

* **في سن ثمانية أعوام** : يستجيب للهجوم أوالنقد بحساسية شديدة أكثر منه بالعدوان ، اعتداؤه يندر أن يكون بالجسم، بل معظمه بالكلام ، يتهرب ويتنصل من المسئوليات وقد يسب .

* **في سن تسعة أعوام** : العراك والضرب شائع بين الأولاد الذكور ولكن في صورة لعب ، عدوان معظمه لفظى كلامى.

الأسباب والعوامل المهيئة للعدوان :

تعد " "الوراثة" " HEREDITY أحد أهم العوامل المسببة للعدوان، تؤكد ذلك الدراسات التى أجريت على التوائم، والتى وجدت أن الاتفاق في السلوك العدوانى بين «التوائم المتماثلة» IDENTICAL TWINS ، أكثر من التوائم غير المتماثلة.

كما أن شذوذ الصبغيات الوراثية CHROMOSMAL ABNORMALITIES يؤثر أيضًا فى ظهور العدوانيّة، بالإضافة إلى اضطراب وظيفة الدماغ مثل النقص فى نمو الجهاز العصبى.

ومن الأسباب التى تدفع الطفل إلى السلوك العدوانى، والتى أسْفَرت عنها نتائج البحوث والدراسات: استخدام أساليب خاطئة أثناء التعامل مع الطفل كالمغالاة فى اللَّوم، ونقده نقدًا عنيفًا فى الوقت الذى يحتاج بشدة إلى التقدير والتشجيع، وكذلك عدم إحساس الطفل بوجوده الاجتماعى داخل الأسرة، أو بين أقرانه فى المدرسة، أو عدم قدرته على لفت نظر مُعلِّميه ليشعروا بوجوده، وكذلك الإحساس بالظُّلم الذى يقع عليه ممَّن يتعاملون معه، والإحساس بتقييد حريته سواء أكان فى ممارسته للَّعب وخاصة ما يحبه منه، أم الرَّغبة فى التعبير عن ذاته والسعى لإثباتها، أو قد يكون سبب العدوان راجعًا إلى محاكاة الطفل لسلوك الأب أو الأم داخل المنزل.

كما أشارت دراسات علماء النفس فى هذا المجال إلى أن ما يصدر عن الطفل من سلوك عدوانى قد يكون راجعًا إلى الإحساس بالعجز أمام الأمور، التى لا يستطيع أن يفهمها، أو أن يشعر بعدم القدرة على ضبطها، أو نتيجة لجهله أو إحساسه بضآلته، أو قد يرجع إلى الخوف من المدرسة بشكلٍ عام، أو من المُعلِّمين بشكلٍ خاص، أو نتيجة لعدم المساواة فى التعامل مع الأبناء، أو بناءً على عقاب الوالدين للأبناء، أو التساهل فى التعامل معهم، حيث أسفرت نتائج بعض البحوث عن أنَّ الأطفال الأكثر عدوانًا هم الذين كانوا يعاقبون باستمرار داخل المنزل، وأنَّ عدوان الأطفال كان يزداد فى حدود مَنْ سهَّل لهم الإتيان بالسلوك العدوانى.

وقد يحدث السلوك العدوانى من الأطفال نتيجة شعورهم بالإحباط، أو تعلُّمهم بأن تحقيق المطالب التى تخصهم لايمكن أن تتم إلاَّ باستخدام هذا النوع من العُنْف، أو نتيجة لما يحدث داخل الأسرة من توتُّرات نفسيَّة بصفة مستمرَّة ودائمة، أو بناءً على ما يحدث من تذبذب السلطة الضابطة داخل الأسرة، أو عدم قدرة الأبوين على تفسير الأسباب التى من أجلها فُرضت على الأبناء قيودٌ معينة، أو أن تحُول البيئة المحيطة بالأطفال دون ممارسة النشاط الذى يرغبون فيه.

كما يؤثِّر انفصال الوالدين أو إصابة أحدهما بالأمراض النفسيَّة على ظهور العدوان لدى الأطفال، كذلك فإن فقر الأسرة الاقتصادى وكثرة عدد أفرادها ينمِّى السلوك العدوانى. واضطراب علاقة الطفل بأمَّه، ونقص مستوى الذَّكاء، وسيطرة شخصية الأمِّ، وغياب الأب فى تربية الأطفال، والشعور بالتعاسة والإحباط والشعور بالذَّنب. . . كلها عوامل تنمِّى العدوان عند الأطفال.

ويؤكد «محمد عبد المؤمن حسين» أن هناك أسبابًا أخرى تجعل الطفل عدوانيًا، منها: رغبة الطفل فى استقلاله عن الكبار، والعقاب الذى يتوقَّعه الطفل نتيجة العدوانيَّة، والعدوان الواقع على الطفل من قبل الصغار أو الكبار، والصراعات والانفعالات المكبوتة، وعجز الطفل عن إقامة وتكوين علاقات اجتماعيَّة، والشعور بعدم الأمان وعدم الثقة وتعرُّضه لأزمات نفسيَّة.

الغضب والعدوان : ANGER & AGGRESSION

الغضب انفعال يتميَّز بدرجة عالية من النشاط فى الجهاز العصبى السمبتاوى SYMPATHETICOTONIC، وبشعور قوى من عدم الرِّضا بسبب خطأ وهمى أو حقيقى، وحينما يتملك انفعال الغضب بالإنسان فإنه تتعطَّل قدرته على التفكير السليم، وقد تصدر عنه بعض الأفعال أو الأقوال العدوانيَّة، على أنَّ الغضب يؤدى وظيفة مهمة هى حفظ ذات الإنسان فحينما يغضب، تزداد طاقته على القيام بالمجهود العضلى العنيف ممَّا يمكنه من الدفاع عن نفسه أو التغلُّب على العقبات.

وتذهب نظرية الإحباط ـ العدوان FRUSTRATION AGGRESSION THEORY ومن أنصارها «دولارد Dollard» و «ميللر Miller»، إلى أنَّ الغضب ينشأ كلَّما اعترض الإنسان عائق يحول بينه وبين تحقيق رغباته، ويبدأ هذا الانفعال فى سن مبكِّرة حين يبدأ الطفل إحساسه بذاته وبمطالبه، وحين يحسُّ فى الوقت نفسه بأنَّ مصدر إشباع حاجاته أو عدم إشباعها موجود فى بيئته. ومع بداية العام الثانى، يبدأ إحساس الطفل بهذه الإشباعات التى تؤدى إلى السرور والراحة، وعدم

الإشباعات التى تؤدى إلى الغضب والقلق والإحباط، وطفل ما قبل المدرسة تفرض عليه مجموعة حدود وقيود متمثلة فى مواعيد الطعام والنوم واللّعب، وحين يلتحق بالمدرسة تزداد عليه القيود، فلابد من أن ينضبط ويتعاون مع الآخرين ويستمع إلى التعليمات.

ويستجيب الإنسان لانفعال الغضب بتوجيه العدوان إلى العقبات، التى تعوق إشباع دوافعه سواء أكانت هذه العقبات أشخاصًا أم عوائق ماديه أم قيودًا اجتماعية، ولما كانت الحياة الاجتماعيَّة السويّة تتيح التنفيس بصورة طبيعية عن انفعالات الغضب، كان لابد أن تجد الطاقة الناشئة عن هذا الانفعال طريقًا للخروج أو الظهور، ومن أهم الطرق التى تظهر بها هذه الطاقة ما يسميه علماء النفس «بالنقل أو الإزاحة» DISPLACEMENT؛ حيث إنه كثيرًا ما يحدث أن يُنقل الغضب أو يحول إلى أشخاص آخرين، لم يكونوا هم فى الحقيقة العقبة التى حالت دون إشباع الدوافع، فقد يغضب الطفل من أبيه فينقل غضبه وعدوانه إلى أخيه الأصغر، وقد ينقل الغضب والعدوان إلى أشياء مادية فيقوم بتحطيمها، وقد يتجه إلى ذاته هو نفسه، فيقوم الفرد بالاعتداء على ذاته SELF - AGGRESSION.

وليس من الضرورى أن يتلازم الغضب والعدوان، حيث يختلف الأفراد فى مواجهة «المواقف المحبطة» FRUSTRATING SITUATIONS فبعضهم يستثار غضبًا فيردُّ بالعدوان، والبعض الآخر يركن إلى سلوكٍ صامت أو إلى الانسحاب.

التوتر والعدوان : TENSION & AGGRESSION

أجرى «هوينجا Hoyenga» دراسة أشارت إلى وجود علاقة بين الكثافة السكَّانيَّة، وبالتالى التوتُّر وبين زيادة السلوك العدوانى، كما أن «شوز» أجرى دراسة فى الأماكن المزدحمة بالسكان، وتبيَّن له وجود ارتباطات قوية بين المعيشة فى الأماكن المزدحمة وانتشار الأمراض الجسميَّة والشعور بالسخط والعداوة. ويرى «جيرسلد Jersild» أن الأسرة كثيرة العدد يشيع فيها عدم الانسجام بين

أفرادها، وكثرة الشقاق وانعدام الرقابة الوالدية والتوتُّر، وهى متغيرات ارتبطت بزيادة العدوانيَّة لدى الأطفال. وبالتأكيد فإن مثل هذه الدراسات توحى بأن التوتُّر أحد المهيئات للسلوك العدوانى أو باعث عليه فى كثير من الأحيان.

وقد أكد «محى الدين أحمد حسين» فى دراسة له، أن هناك ارتباطًا بين التوتر والسلوك العدوانى، ولقد كان هذا الارتباط من القوة بحيث أمكن على المستوى الإحصائى استخلاص عامل من العوامل، يشكِّل قوام الظاهرة العدوانيَّة سمى «التوتُّر العدوانى»، وربما يشير هذا المُسمَّى إلى أنَّ هناك توترًا لا يفضى إلى سلوك عدوانى، وتوترًا أخر يفضى إليه، وهذا حقيقى فليس من الضرورى أن يقود التوتُّر إلى هذا السلوك، بل قد يقود أحيانًا إلى نقيضه تمامًا وهو الانسحاب.

وقد كشف «تانينيوم» أنَّ التوتر من قبيل المتغيرات المهمة فى إبراز السلوك العدوانى، ولكن ليس بالشرط الكافى لإحداث هذا السلوك، وهذا ما أشار إليه «دورتسكى» فى قوله: «إنه على الرغم من عدم ضرورة اتسام الأشخاص المستثارين انفعاليًا بالعنف والعدوان، فإنهما (العنف والعدوان) لا يحدثان إلاَّ فى حالة الاستثارة الانفعاليَّة».

الإحباط والعدوان : FRUSTRATION & AGGRESSION

الإحباط هو خيبة الأمل التى تحدث نتيجة عدم تحقيق دافع معيَّن للفرد، وبمعنى آخر هو عملية تتضمن إدراك الفرد لعائق، يحول دون إشباع حاجاته أو توقع الفرد حدوث هذا العائق فى المستقبل، وإذا كان الإحباط يؤدى فى بعض الأوقات إلى تقوية الدافع، فإن الإحباط عادة ما يؤدى إلى العدوان. وعلى هذا فالعدوان من أشهر الاستجابات التى تُثار فى الموقف الإحباطى.

ولابد أن نعلم أن العدوان المُثار فى الموقف الإحباطى استجابة متعلَّمة، ولذلك فهى تتوقف على درجة الإحباط، فكلَّما كانت درجة الإحباط شديدة، كان الاستعداد للسلوك العدوانى قويًا ومُلحًّا، فشدة الإحباط دالة قوية على قوة العدوان.

وتؤكّد نظريّة الإحباط ـ العدوان، أن العدوان أمرٌ ناجم عن الإحباط؛ أى إن الإحباط يؤدى إلى وجود دافع للعدوان، وهذا بالطبع يقود إلى سلوك عدوانى مباشر، ويرى أنصار هذه النظريّة أن العدوان عبارة عن ردٍّ فعل طبيعى لما يواجه الفرد من إحباطات متعددة، فالإحباط يولّد طاقات فى النفس من الضرورى أن تُصرف بأسلوب أو بآخر؛ حتى يشعر الفرد بالرَّاحة منها، ومن أساليب التخفف من هذه الطاقة السلوك العدوانى، واعتبروا العدوان استجابة فطرية للإحباط INNATE REACTION TO FRUSTRATION، ثم تعدلت فروض هذه النظرية؛ بحيث أكدت أنَّ الإنسان قد يعتدى بالعدوان دون إحباط، وعلى ذلك فالإحباط يؤدى إلى العدوان فى وجود شرطين هما:

الشرط الأول: العدوان يحدث إذا كان الإحباط يحدث بطريقة متعسفة ولا معنى لها.

الشرط الثانى: عندما يكون العدوان فعالاً فى التخلص من العقبات، التى تعترض طريق إشباع الحاجات.

والإحباط لا يؤدى إلى العدوان إلاَّ إذا كان العدوان يلقى من الوالدين أثناء عملية التطبُّع الاجتماعى شيئاً من الإثابة والتدعيم، فمثلاً إذا حدث أن كانت الأمُّ مصدراً للإحباط بالنسبة للطفل، ثم ترتب على هذا الإحباط أن ثار الطفل فمال إلى العدوان على الأمِّ وهمَّ بالعدوان عليها بالفعل، فوجد منها تساهلاً أو ترحيباً بهذا العدوان فإن الميل إلى العدوان يتدعّم ويقوى عند الطفل، ولهذا يؤكد «سيرز Sears»: أنَّ العلاقة بين الإحباط والعدوان علاقة مركَّبة وغير مباشرة تتوقف على ما يكون بين الطفل وأمِّه من تفاعل.

وقد بينت التجارب أن الاستجابة العدوانيَّة من أقرب وأظهر الاستجابات فى حالة الإحباط فيشير «سمبسون Simpson» و «ينجر Yinger» إلى إن إعاقة أو منع السلوك الموجه للهدف، كثيراً ما يخلق بواعث عدوانيَّة فى الفرد.

والعدوان يتجه غالباً نحو مصدر الإحباط بهدف إزالة هذا المصدر والتغلُّب

عليه أو كردٍّ فعل انفعالى للضيق والتوتُّر المصاحبين للإحباط. ولكن العدوان لا يوجَّه دائماً إلى مصدر الإحباط، فقد يكون هذا المصدر قوياً، أو فى مركز لا يستطيع الفرد أن يوجِّه إليه العدوان مباشرة، وفى هذه الحالة فإن العدوان يُزاح إلى مصدر آخر، يمكن للفرد معه أن يعبر عن عدوانيَّته وهو فى مأمن، فالطفل الذى يواجه الإحباط نتيجة إهمال والديه له وعدم إعارته الانتباه والاهتمام الكافيين، فقد يوجِّه عدوانه إليهم بطريق غير مباشر، فقد يعصى أوامرهم، أو يشوه الحائط بالكتابة عليه، أو قد يلجأ إلى تحطيم ما تصل إليه يده من أشياء، والـمُعلِّم الذى يُحبط تلاميذه فإنهم يتجهون بعدوانيَّتهم تجاه بعضهم البعض، وهذا المعنى ينطبق على الطفل الذى يسرق النقود من أبويه، فربما لا يكون فى حاجة إلى تلك النقود، بل يكون تعبيراً عن الحنق والضيق والإحباط، ورغبة لاشعورية فى الاعتداء على شخصيهما، وهو ما يطلق عليه «العدوان المزاح» DISPLACED AGGRESSION.

والعدوان قد يتجه أحياناً نحو الذَّات، بحيث يميل الفرد إلى لوم نفسه، والسبب فى ذلك أن أساليب التربية قد تتضمن درجة كبيرة من اللَّوم والتعنيف أو المقارنات الظالمة أو الإحساس الشديد بالنَّقص، فى الوقت الذى لا يستطيع توجيه العدوان إلى الخارج (مصدر الإحباط الأصلى، أو إلى مصادر خارجية بديلة) فمثل هذا الفرد يكون مُهيَّئاً لتوجيه عدوانه نحو الداخل، لأنه يُحَدِّث نفسه بأنه الملوُم وأنه المسئول عن كل ما يحدث.

والتعلُّم السابق فى حياة الطفل يؤثِّر فى قوة الاستجابة للعدوان أو ضعفها أو حتى عدم وجودها إطلاقاً، فالأب قد يعلِّم أولاده أن يردوا العدوان البدنى بمثله، أو أن يردوه بالاحتجاج اللفظى أو بالشكاية إلى المُعلِّم، أو بالتسامح وعدم إبداء أى نزعات عدوانيَّة صريحة.

وتعد العزلة سبباً من أسباب نشأة السلوك العدوانى؛ لأنها تؤدى إلى الإحباط، يؤكد ذلك «هارتوب Hartup» و «هيمنو Himoni» فى دراستهما التى

نشرت عام ١٩٥٩، حيث بينت أنَّ السلوك العدوانى يظهر بوضوح فى الإنسان بعد عزله عن الآخرين لمدة طويلة من الزمن؛ ذلك لأن العزلة الطويلة تؤدى إلى الإحباط، والإحباط يؤدى بدوره إلى العدوان.

الإحساس بالنقص والعدوان:

قد تخفى العدوانيَّة الشديدة وراءها إحساساً دفيناً بالضَّعف لدى الطفل، كأن يكون مصاباً بعاهة خُلُقيَّة، أو بضعف فى تكوين البنيان الجسمى، أو بمرضٍ من الأمراض المزمنة، فيعمد الطفل بالتالى إلى استخدام العدوان كأسلوب فى التعامل مع الآخرين، وذلك كوسيلة تعويضيَّة. ويؤكِّد «آدلر» أن الإحساس بالنقص يُشكل الدُّعامة الأساسية فى السلوك الشخصى لدى الطفل والشاب على السواء، فالإحساس بالنقص يُعبِّر عنه عَبْر منافذ متباينة، لعلَّ من أهمها النزعة العدوانيَّة، فيكفى أن نعرف أن السلوك الإجرامى أو المنحرف يكوِّنه ويدعِّمه شعور عميق بالدونيِّة، وإحساس شديد بالنقص يؤثِّر على التصرُّفات والأفعال.

الحرمان والعدوان:

ترتكز المشاعر العدوانيَّة عن طريق عامل الحرمان، الذى يعنى العجز عن تحقيق وتلبية رغبات معينة، وكذلك عدم إشباع الحاجات الأولية الفسيولوجية، فحينما يُحْرَم الفرد من الطعام قسراً يندفع بقوةٍ نحو العدوانيَّة لإشباع هذا الدافع الفسيولوجى، حتى أن «إبراهام ماسلو» يرى فى نظريته الهرمية HIERARCHY- THEORY أن سلوك الإنسان فى حياتنا المدنية الحاضرة ليس محكوماً بالدوافع على الإطلاق، ولكنه محكوم بالدوافع غير المشبعة بالذات، لأنها الدوافع التى لازالت تعمل وتوجه السلوك، فالفرد الذى يبحث عن التقدير وتأكيد المكانة الاجتماعيَّة بين أفراد المجتمع، من الطبيعى أن يكون قد أشبع الدوافع الفسيولوجية.

وعلى هذا.. فقد أصبح من المُسَلَّم به أن الكائنات البشرية فى حاجة إلى الحبّ، والإحساس بالانتماء، والتفوق، وأنها فى حاجة إلى التحرر نسبيًا من

المشاعر العميقة بالخوف والحرمان والذنب، كذلك الحاجة إلى الأمان الاقتصادى. وعلى هذا يتضح أنه هناك علاقة قوية بين العدوانّية والحاجات التى لم تشبع، فسيولوجية كانت أم سيكولوجية.

التعزيز والعدوان:

عادة ما نلاحظ أن بعض الأطفال يعتدون على غيرهم بشدِّهم، أو جذبهم، أو ركلهم، أو الاعتداء على ممتلكاتهم. وفى بعض الأحوال نلاحظ أن مثل هذا السلوك أو غيره ما يجد تعزيزاً ـ وخاصة إذا حدث من بعض الأطفال أثناء زيارتهم لأحد الأهل أو الأصدقاء ـ حيث عادة ما يكون الوالدان فى حالة من الخجل أو الاضطراب، تمنعهم من اتخاذ الأساليب التى تمنع الطفل من الإتيان بمثل هذا السلوك العدوانى، أو أن بعض الآباء والأمهات يشعرون بالفرحة بأن طفلهم لديه قدرات تمكّنه من مواجهة الحياة حسب فهم الكبار لطبيعة الحياة.

وقد يحدث التعزيز لمثل هذا السلوك بناءً على أن المضيف نفسه لا يأخذ موقفاً حاسماً من الطفل؛ منعاً لإحراج والديه بما يؤدى إلى تكرار هذا السلوك فى مواقف أخرى متشابهة.

التعلم الاجتماعى والعدوان:

ترى نظرية التعلُّم الاجتماعى SOCIAL LEARNING THEORY أنَّ العدوان سلوك متعلَّم، ويعتقد أصحاب هذه النظرية أنَّ أساليب التربية والتَّنشئة الاجتماعية تلعب دوراً مهمـًّا فى تعلُّم الأفراد الأساليب السلوكيَّة التى يتمكنون عن طريقها من تحقيق أهدافهم، وهكذا يصبح مبدأ التعلُّم هو المبدأ الذى يجعل من العدوان أحياناً أداة لتحقيق الأهداف.

ويرى أصحاب هذه النظرية أيضاً أنَّ السلوك العدوانى ينتج عن تعلُّم اجتماعى، يعتمد على التقليد والتعزيز، كما أنَّ السلوك العدوانى يُعتَبر سلوكًا متعلَّمًا مكتسبًا لا يختلف عن أى سلوك اجتماعى يكتسبه الطفل، وهذا النمط من أنماط السلوك يعتمدُ على التعزيز المباشر لبعض أعمال الطفل العدوانيَّة التى

يثابون عليها، ويعتمدُ أيضاً على التقليد الاجتماعى، عندما يكتسب الطفل سلوكاً جديداً من خلال مشاهدتهم لسلوك أشخاص آخرين فى البيئة نفسها، ويرى «باندورا Bandura» أن هناك ثلاثة مصادر يتعلَّم منها الطفل بالملاحظة السلوك العدوانى، وهى: التأثير الأُسَرِى، وتأثير الأقران، وتأثير النماذج الرَّمزيَّة كالسينما و(التليفزيون).

البيئة وتدعيم نزعة العدوان لدى الطفل:

أكدت الدراسات أن الطفل الذى يتصف سلوكه بالعدوانيَّة هو طفل تربَّى فى بيئة عمدت إلى تدليله وإيثاره، فاستضعف من حوله بينما أصبح هو طاغيةً صغيراً. والتدليل هو أن نلبِّى رغبات الطفل المُلِحَّة وغير المُلِحَّة، فقد يرغب الطفل فى تحقيق رغبة مُعيَّنة قد تستعصى على قدرات والديه، وفى ذات الوقت ليست على درجةٍ كبيرةٍ من الأهمية بالنسبة له؛ فإذا حقق والداه له هذه الرَّغبة تعلَّم الطفلُ أنْ يَصير مُتجبِّراً، فيجعل من حياته كلها مصدراً للعدوانيَّة، كلَّما وقفت البيئة حائلاً دون تحقيق رغباته، أمَّا إذا وجد من يمنعه دون تحقيق هذه الرغبة.. فإنه سيعى ويقنع بضرورة تأجيل رغباته وحاجاته إلى حينها، وسيدرك بالقطع أن العدوانيَّة كسلوك وتصرُّف لن تحقق له رغباته ومآربه، بل قد تتسبَّب هذه العدوانيَّة فى متاعب إضافية له.

ولقد أكدت دراسة «جروم Grum» أن الاتجاهات المتَّسِمة بالحماية الزائدة من جانب الأُمَّهات نحو أبنائهن لها علاقة إيجابية بالسلوك العدوانى لديهم، كما وجد «سيرز Scar» و «ماكوبى Maccoby» و«ليفين Levin» أن التسامح الشديد عند تعدى الطفل يتسبَّب فى تصعيد العدوان.

وهناك بيئة أخرى يخرج منها الطفل عدوانياً، هى تلك البيئة التى تقدِّم نماذج حيَّة كأمثلة للعدوانيَّة فتشربه اتجاهات العدوان؛ فقد أكدت دراسة «سوشاين Suchien» أن العدوانيَّة لدى الأطفال ترتبط إيجابياً بشدة القسوة فى العقاب

والرفض وعدم القبول، وعدم الرِّضا من جانب الأُمِّ عن السلوكيات التى تصدر عن الأبناء.

أيضاً الأبُ الذى ينهر ابنه ويعنِّفه ويصفه بالجبن والتخاذل لأنه لم ينتقم من غريمه بمبادلته بالصفعات أو الرَّكلات نفسها، كذلك الأب يسبُّ زوجته أمام أطفاله، فيتشرَّب الأطفال نزعات العدوان هذه.

والمشكلة الأكثر تعقيداً هى مشكلة الدور الذى تلعبه البيئة المحيطة بالطفل فى تغيير النزعة العدوانيَّة لديه، ومن أهم العوامل التى تؤثر فى طبيعة التغيير هذه؛ هى درجة التوافق بين طبيعة الطفل وشخصية كل من الأبِّ والأُمِّ، فيبين «فرويد» أن الصِّراع الذى يطول مداه بين الطفل والأُمِّ حول التدريب على النظافة الشخصيَّة، وقضاء الحاجة فى الفترة بين عام وثلاثة أعوام يمكن أن يَخْلُق كثيراً من الشعور بالعداء فى وجدان الطفل سريع التأثُّر، وقد يؤدى هذا إلى ظهور طفل ذى نزعة عدوانيَّة.

كما أن النزعة العدوانيَّة قد تثيرها بعض العلاقات الأخرى فى محيط الأسرة، فمعظم الآباء الذين أنجبوا طفلين أو أكثر قد لمسوا أن الغيرة التى يحسها الطفل الصغير نحو المولود الجديد تثير فيه النزعة نحو العدوان. والطفل دون سن الثالثة عرضةٌ لأنْ يظهر شعوره بالعداء بصورة محتدمة نحو المولود الجديد فى شكل ضرب أو ركل.

وهناك أطفال تعتريهم نزعة إلى العدوان بصفة مؤقتة إثر استبداد مستمر من أحد الأطفال الآخرين، أو معاناتهم من عجز شديد فى القراءة أو الكتابة فى سنيهم الأولى من المدرسة. على أن غالبية حالات العدوان تبدأ من جرَّاء توتُّرات نفسيَّة فى داخل نطاق الأسرة؛ ولذلك ينبغى إيجاد حلول لها بالتخفيف من حِدة هذه التوترات.

الأسرة وتدعيم نزعة العدوان لدي الطفل :

يكتسب الطفل الميل للعدوان من الأسرة بفعل العوامل التالية :

* شعور الطفل منذ صغره بأنه غير مرغوب فيه من والديه، وأنه يعيش فى جوٍّ أسرى عدائى بالنسبة لمعاملة والديه له.

* الحياة المنزليَّة التى يسودها شجار دائم بين الأبوين على مرأى ومسمع من الطفل.

ويلعب الأباء دورًا كبيرًا فى اكتساب الأطفال السلوك العدوانى من خلال محاكاة أو تقليد (IMITATION) الأبناء للاستجابات العدوانيَّة التى تصدر عن الآباء؛ فالطفل الذى يشاهد أباه يحطِّم الأشياء من حوله، عندما ينتابه الغضب، يقوم بتقليد هذا السلوك. ويرى «باندورا» Bandura أنَّ الطفل يقلِّد نماذج السلوك العدوانى الصادرة عن أشخاص ذوى مراكز اجتماعية مؤثِّرة، فهناك أشخاص على درجه كبيرة من الأهمية بالنسبة للطفل مثل الوالدين والمُعلِّمين والرفاق يمكن اعتبارهم نماذج، يستقى منها الطفل سلوكه الاجتماعى بصفة عامة، وسلوكه العدوانى بصفة خاصة، ومثل هذه النماذج التى يراها الطفل هى التى تعلِّم كيف ومتى يتصرف بشكل عدوانى، وهؤلاء أيضًا الذين يؤيِّدون ويدعِّمون السلوك العدوانى عند الطفل بحيث يتعلَّم الطفلُ السلوك العدوانى، عندما تتاح له فرصة ممارسة الاستجابات العدوانيَّة ولا يعاقب على السلوك العدوانى، أو إذا نجح فى الحصول على مكافأة بسبب إيذاء الشخص المعتدى عليه.

ويعتقد «باندورا Bandura» أنَّ الآباء الذين يتسمون بالغلظة والقسوة مع أبنائهم يتعلَّم أبناؤهم السلوك العدوانى، كما توصل أيضًا إلى أنَّ الآباء الذين كانوا يشجِّعون أبناءهم على المشاجرات مع الآخرين، وعلى الانتقام ممَّن يعتدى عليهم والحصول على مطالبهم بالقوة والعنف، كانت درجة العدوانيَّة لديهم أكبر من درجة العدوانيَّة عند الآباء، الذين لم يشجعوا أبناءهم على السلوك العدوانى بأى شكل من الأشكال.

وفى هذا الصدد تشير دراسة «سيرز Sears»، و«كارل سميث Carl Smith» و «كونراد Konard» إلى وجود ارتباط موجب بين عدوانيَّة الأبناء ودرجة العنف أو القسوة التى عاملهم بها الآباء والأمهات، فالأطفال الذين يتعرَّضون لرفض الوالدين ويعيشون علاقات فاترةٍ وغير مشبَّعة وجدانياً، يميلون فيما بعد إلى الظهور بالمظهر العدوانى.

ويشير «جو» و «روبرت Jo & Robert» من أنَّ الطفل الذى يتلقى القليل من التقبل والمرفوض بصفة خاصة داخل الأسرة، يميل إلى القيام بالسلوكيات العدوانيَّة.

وقد استخلص كل من «سيرز Sears»، و «ماكوبى Maccoby» و«ليفين Levin» أنَّ التسامح الشديد عند تعدى الطفل يتسبَّب فى تصعيد عدوانه، وأن التَّسامح الزائد عند الآباء مع الأبناء، وعدم معاقبتهم على سلوكهم العدوانى يجعل درجة العدوان ترتفع عند الأبناء.

وتؤكِّد «ليلى عبد العظيم» أنَّ أسلوب التربية للأطفال الذين يتسم سلوكهم بالعدوانيَّة، يتميَّز بالقسوة والشدَّة المتناهية والمعارضة لرغباتهم بالمنع والقهر والإجبار، وتحميلهم من المسئوليات أكثر ممَّا يحتملون وممَّا يطيقون. كما أكدت دراسة «سوشاين Suchien» أنَّ العدوانيَّة لدى الأطفال ترتبط إيجابيًا بشدَّة القسوة فى العقاب والرَّفض وعدم التقبُّل وعدم الرِّضا من جانب الأمِّ عن السلوكيَّات التى تصدر من الأبناء.

كما أوضحت الدراسات ارتباط السلوك العدوانى إيجابيًّا بأسلوب عدم الاتساق، والذى فى ظله قد يسمح للطفل بإصدار استجابات عدوانيَّة فى موقف معين، ولا يسمح له بها فى موقف آخر، أو قد تسمح له الأمُّ بها، ولا يسمح له الأبُ، وهذا الأسلوب يمثل مناخًا ملائمًا تمامًا للسلوك العدوانى؛ فيقول «ميوسن» Mussen إنَّ أسلوب عدم الاتساق يؤدى لمشاعر الحيرة عند الأطفال حيث لايستطيعون فى ظلِّه.. التمييز بين ما هو مقبول وما هو غير مقبول، كما

أنَّ هذا الأسلوب يُعدُّ - إلى جانب ذلك - بمثابة الموافقة النسبيَّة على السلوك حينًا، وإن كان هناك اعتراض عليه حينًا آخر أو موافقة أحد الأبوين، حتى وإن اعترض عليه الآخر، يُترجِمَه الطفل على أنه بمثابه درجة من درجات السماح بهذا السلوك؛ ولذا تتولد العدوانيَّة بدرجةٍ أكبر فى سياق عدم الاتساق.

تأثير (التليفزيون) علي تقوية نزعة العدوان لدى الطفل:

تشير إحدى الدراسات فى مجال معدل مشاهدة برامج (التليفزيون) إلى أنَّ الطفل الذى تجاوز عمره سنَّ الثالثة يقضى سُدس ساعات يقظته اليومية أمام الشاشة الصغيرة، فإذا بلغ سنَّ السادسة تكون المدة التى يقضيها فى متابعة برامج (التليفزيون) معادلة لتلك المدة التى يقضيها فى المدرسة وقد تفوقها، وبهذا يتضح أنه من الوسائل المرئية الأكثر انتشارًا والأكثر جذبًا.

وإذا كان (التليفزيون) يقدِّم فى الكثير من برامجه الخاصة للأطفال المفيد والهادف والمشوِّق، فإنه مع هذا يقدم بعض البرامج والأفلام التى قد تنمِّى وتقوِّى النزعات العدوانيَّة لدى الطفل، فيرى «نوبل Nobel» أنَّ كثيرًا من المشكلات السلوكيَّة تعتمد على أنواع السلوك التى يُشاهدها الطفل على شاشة (التليفزيون)، فى حين يرى «إيرون Eron» أن الطفل يقلد تقليدًا طبيعيًا كل ما يراه من سلوك على شاشة (التليفزيون). وإذا كان الطفل يشاهد لفترات طويلة البرامج، التى تعرض فيها الجريمة والعنف.. فإنَّ الطفل منذ سنواته الأولى سعى إلى تقليدها، ذلك أنَّ رؤية نماذج عدوانيَّة على شاشات (التليفزيون) يمكن أنْ يزيد من السلوك العدوانى عند الأطفال، كما يمكن أنَّ تؤثِّر المشاهد الزائدة لهذه البرامج العدوانيَّة القاسية فى اتجاهات الأطفال، وتؤدى بهم إلى رؤية القسوة والعنف كطرق مقبولة وفعَّالة لحل كثير من الصراعات بين الأفراد.

وقد أشار عديد من الدراسات إلى إمكانية وجود علاقة بين مقدار العنف الذى يشاهده الطفل، ومقدار السلوك العدوانى الذى يُصدر عنه فى المواقف الطبيعية؛ ففى دراسة قام بها «مكليود Mcleod»، و «أتكين Atkin» و «اتشافى

«Chaffee» عام ١٩٢٧ فحصوا فيها العلاقة بين مشاهدة مشاهد عنيفة (تليفزيونية) وعدد من مقاييس السلوك العدوانى، وكانت الخلاصة أنَّ الأطفال والمراهقين الذين يشاهدون مشاهد العنف الشديدة يميلون إلى أن يسلكوا بمستويات مرتفعة من السلوك العدوانى، كما يرى «روبرت» و «باشن Robert & Bachen» أنَّ هناك علاقة ايجابية سببيَّة بين مشاهدة العنف فى (التليفزيون) والسلوك العدوانى عند الأطفال.

كذلك أكدت دراسات كل من «فشباخ Feshbach» و «سنجر Singer» عام ١٩٧٠، و «ليبرت Liebert» و «بارون Baron » عام ١٩٧٢، و «فردريك Frie-drick» و «ستين Stein» عام ١٩٧٣ و«جالست Galst» و «وايت White» عام ١٩٧٦، أن النماذج العدوانية التى يقدمها (التليفزيون)، سواء كانت حقيقيَّة أم غير حقيقية أم رسومًا متحركة، تزيد بشكل ملحوظ من السلوك العدوانى لدى الأطفال، وأثبتت أنَّ الفرد إذا تعرَّض «لنموذج عدوانى» AGGRESSIVE MODEL يعتدى أمامه، فإنه يثار نحو العدوان، ومن ثمَّ يصير أكثر عدوانًا، ومعنى هذا تقليد النموذج العدوانى، ويمكن افتراض أنَّ مشاهدة العدوان على شاشة (التليفزيون) بالنسبة لبعض الأطفال تعمل كمنفذ لتصريف أو «تفريغ» CATHARSIS الطاقات الانفعاليَّة المحبوسة، ويقصد بعمليَّة التصريف أو التفريغ هذه تطهير الذات DURIFICATION، أو توزيع الانفعالات والتخفيف من آلام التوتُّر TENSION والقلق ANXIETY؛ وخاصَّة تلك الانفعالات التى قمعها الفرد EMOTIONS REPRESSED؛ ذلك لأن (التليفزيون) يخفض من حدة العدوان الحقيقى بتقديم منفذ خيالى VICARIOUS OUTLET.

وعن الأساس العلمى لتأثير (التليفزيون) على تقوية نزعات العدوان عند الأطفال، ترى نظرية التعلُّم الاجتماعى SOCIAL LEARNING THEORY، وعلى رأسها «باندورا Bandura» أن الطفل يتعلَّم من (التليفزيون) أساليب وطُرُق العدوان أو العنف التى قد لا تأتى فى مجال انتباهه، فقد يتعلَّم كيف يستخدم السكِّين فى شجار، ومناظر العنف فى (التليفزيون) مثيرة فهى ترفع من مستوى

التوتُّر ومُستوى النشاط عند الفرد، والطفل النَّشط أكثر قابليَّة لأن يؤذى شخصًا آخر من الطفل الهادىء، ويعتقد «باندورا» كذلك أن النشاط العدوانى فى برامج وأفلام (التليفزيون) يثير خيال الطفل العنيف، من خلال عملية التوحُّد، والتوحُّد عمليَّة (سيكولوجيَّة) تعنى أن يدمج الطفل ذاته فى ذات الشخص الذى يثير إعجابه، وخلال عملية التوحُّد هذه يكتسب الطفل أنماطًا وعادات سلوكيَّة كثيرة، فعندما يرى الطفل مثلاً أن البطل يقوم بقتل شخصيَّة شريرة فى (التليفزيون)، فقد يجعل ذلك الطفل يتخيل نفسه البطل، فيقوم بمحاولة إيذاء صديقه أو أخيه الذى يعتقد أنَّه شرِّير.

وقد توصَّل «كاجان» و «موس Kagan & Moos » فى الستينيات من هذا القرن إلى اكتشاف ظاهرة فريدة تسمى «التأثير النائم»، وهى تعنى أنه قد تكون هناك مؤثِّرات معيَّنة أحدثت تأثيرها فى الطفل، ولكن نتائج هذا التأثير لا تظهر لنا مباشرة؛ فيظل نائمًا لفترة طويلة ينتظر عوامل خارجية أو داخلية فى الطفل توقظه؛ حتى يظهر مثل هذا التأثير فى مرحلة المراهقة أو البلوغ.

وتوصَّل «لايبرت Liebert» عام ١٩٧٣ إلى أن هناك درجة ملحوظة من الاتفاق على وجود ارتباط بين العنف المشاهد والسلوك العدوانى عند الأطفال؛ فالدراسات المعمليَّة والبحوث الارتباطيَّة الحقليَّة أظهرت جميعها أن التعرض (للتليفزيون) يمكن ـ وغالبًا يحدث ـ أن يجعل المشاهد أكثر عدوانيّة.

حتي نقي أطفالنا مغبة السلوك العدواني :

* يجب ملاحظة أن الطفل إذا ما عبَّر عن غضبه فى صورة سلوك عدوانى، فلا يجب النظر إلى ذلك على أنَّه سلوك تدميرى بل العكس، فإن العدوان صورة إيجابية، فالعدوان ـ كما يرى المحللون النفسيون ـ مظهر من مظاهر الإيجابيَّة. وعلى الكبار ألاَّ يستخدموا العقاب البدنى كوسيلة لإيقاف السلوك العدوانى من جانب الطفل، فالغضب الذى يتم كفَّه خوفًا من العقاب، لابد وأن يتراكم ويشتد حتى يصل إلى الانفجار فى صورة عدوانيَّة تدميريَّة.

* على الآباء ضرورة تفهُّم الأسباب التى تدفع الطفل - فى بعض الأحيان - إلى إصدار استجابات، عدوانيَّة؛ فمعالجة الأسباب تؤدى إلى تلاشى هذه الاستجابات، أو على الأقل تقليل احتمال حدوثها، فقد يكون السبب جسميًّا نتيجة لتعب أو مرض معين، أو نتيجة لنشاط وطاقة زائدة تحتاج إلى تصريف، وقد يكون راجعًا لنقص أو عاهة جسميَّة، وشعور بالنقص والدونيَّة أو الإحباط أو الاكتئاب أو الكبت. كما يجب بحث حالة الطفل النفسيَّة والمدرسيَّة وقدراته على التحصيل وعلاقته بوالديه ومُعلِّميه، أو كيفيَّة شغل وقت فراغه.

* أن يقوم الآباء والأمهات بضبط السلوك العدوانى، إما بالإثابة (التعزيز)، عندما يأتى الطفل بموقف يخلو من العدوانيَّة يتفاعل فيه الطفل مع صديق له بشكل جيد؛ فنمتدحه على حسن تعامله مع صديقه، ونقدم له إثابة كالمديح اللفظى أو أى شىء آخر يحبُّه. أما إذا ما قام الطفل بسلوك عدوانى يستوجب الحزم، فيمكن للآباء استخدام أسلوب العزل لبعض الوقت TIME - OUT، وهو يعنى أن يتم عزل الطفل فترة زمنية محددة قصيرة عن النشاطات الاجتماعية التى يمارسها، والتى تعتبر معززات بالنسبة له، ويعتبر هذا الأسلوب بديلاً عن أسلوب العقاب البدنى.

* يجب على الوالدين والمربين عدم مواجهة أى نوع من أنواع السلوك، الذى يصدر عن الطفل ونَصِفَه بالعنف والعدوان بالنوع نفسه من السلوك، وإنَّما ينبغى مواجهته عن طريق استخدام أساليب التوجيه والإرشاد، وإتاحة الفرصة أمامه لإشباع حاجاته فى وقتها المناسب وبالقدر المعقول، وإفهام الطفل أن الله سبحانه وتعالى قد وهبه دوافع تمكِّنه من الدفاع عن نفسه وقت الخطر، وليس لاستخدامها فى الاعتداء على الغير. كذلك عدم العقاب بالضرب أو باللَّوم الشديد، أو بالتقريع أو السخرية، أو الاستهزاء؛ من أجل تعديل بعض الأنماط السلوكيَّة غير المقبولة اجتماعيا، لأنها قد تأتى بنتائج عكسيَّة.

* أنْ نوفِّر لأطفالنا فرص الشكاية لما يعتمل فى دواخلهم من شقاء أو إحباط،

وهو ما يسمى بعمليه «التفريغ النفسى» (CATHARSIS)؛ ذلك لأنَّ الإنسان المُحبَط والذى يعانى من ضيقات نفسيَّة مؤْلمة، إذا وجد من يسمعه وينصت إليه ويؤازره وهو يتحدث عن آلامه ومتاعبه، فإنه يشعر براحة نفسيّة تُصرفه عن أى سلوك عدوانى مزمع القيام به.

* حتى نستطيع أن نقوم بتربية أطفالنا تربية صحيحة، لابد أن يكون هناك اتفاق بين الوالدين فى أسلوب التعامل معهم، على أساس أن الأطفال يتميزون بطبيعة خيرة ونقية، وأن يتخذا مواقف واضحة ومحددة من الأنماط السلوكيَّة، التى يأتى بها الأطفال. لأن التناقض فى الأساليب التربوية التهذيبيَّة تخلق مواقف مُحْبطة؛ ممَّا يتسبب فى احتمال ظهور الأنماط السلوكيَّة العدوانيَّة عند الأطفال، مع عدم التساهل حيال صدور أنواع من السلوك التى تشير إلى بدء ظهور النزعات العدوانيَّة؛ حتى لا يتم «تعزيز» مثل هذه الأنماط السلوكيَّة، فضلاً عن ضرورة مساعدتهم فى المواقف الاجتماعية، التى يمرُّون بها بما يمكنهم من الثقة بأنفسهم والاعتداد بها دون غرور أو صلف.

* عدم إهمال ذات الطفل مهما كانت الأسباب أو الظروف، والعمل على إثباتها وتدعيم إحساس الطفل بأنَّ له وجودًا وكيانًا لايمكن إهمالهما أو الاستغناء عنهما، ومساعدته على تبديد طاقاته الكامنة، عن طريق إتاحة الفرص لممارسة أنواع مختلفة من الأنشطة.

* يجب ملاحظة أن أى إفراط فى عقاب الطفل ذى النزعة العدوانيَّة، قد يؤدى إلى ازدياد الدافع لديه للعدوان؛ فقد أكد «سيرز»: «أن أفضل الظروف لمنع العدوان عن الطفل هو تثبيطه بشرط أن نتجنب العقاب البدنى على السلوك»[١].

* عدم القسوة على الأبناء أو تدليلهم على نحو مبالغ فيه؛ حيث إن القسوة واللين الزائدتين تفسدانهم وتنميّان عندهم العداوة الزّائدة وسرعة الغضب؛ ممَّا يفسِّد علاقتهم بأقرانهم وبأنفسهم، ومن الضرورى أن نربيهم على المحبَّة

والتعاون ونعوِّدهم على ضبط النفس عند الغضب والتسامح مع من أساء إليهم عند المقدرة، ولانشجعهم على العدوان، ونعاقبهم عقاب المؤدَّب الرحيم، لاعقاب المؤدِّب الحانق.

* ينبغى على الوالدين والمربين مراعاة عدم الاستجابة الفورية؛ لتلبية حاجات ورغبات الطفل تحت تهديد الصراخ أو البكاء، مع عدم إشعار الطفل بأنه ليس لديه القدرة على إحراز النجاح عند الإقبال على موقف، يحتاج إلى جهد معين، وكذلك عدم التعرض لممتلكاته (أدوات أو لُعب)، أو الحيلولة بينه وبينها بهدف الخوف الشديد على تبديد وقته؛ للاستفادة به فى مجال آخر قد يتصوَّرون أنه الأفيد.

* لا يجوز الإكثار من التدخل فى أعمال الأطفال، أو تحديد حركتهم، أو إرغامهم على الطاعة العمياء بمجرد الطاعة، وإنَّمَا يجب أن يكون تدخل الآباء تدخلاً مرنًا بأسلوب التوجيه.

* لا يجوز إظهار الأطفال بمظهر العجز أو الاستهزاء بهم أو السخرية منهم أو إذلالهم أو كبتهم أو تخويفهم أو العمل على تهدئتهم بالعنف والشدة؛ فالسماح لهم بالتعبير عن انفعالاتهم العنيفة ـ أحيانًا ـ يعتبر أمرًا صحيًّا.

* إتاحة الفرص أمام الأطفال لممارسة أنواع النشاط الحركى، الذى يتفق ومراحل النمو المختلفة، دون أى نوع من أنواع الضغط أو التدخل لممارسة نوع معين من اللَّعب غير المحبب للطفل، وأن نوفر لهم فرص القراءة الحرة والرسم والتعبير الفنى كوسائل تعبيرية يتسنى بواسطتها لهؤلاء الأطفال تفريغ الشحنات الانفعاليَّة الداخليّة.

* يمكن للآباء مشاهدة العروض (التليفزيونية)، التى تتسم بالعنف والعدوان؛ حتى يتمكنوا من مساعدة الطفل، لكى يستطيع أن يميِّز بين العنف الواقعى والعنف الخيالى تمييزًا، يربط بين النواتج السَّيئة للسلوك العدوانى والسلوك نفسه، وليفهم كذلك الدوافع وراء العدوان، وأنْ تقدم معايير وتوجيهات أخلاقيَّة يمكن

للطفل بواسطتها أن يقوِّم وينقد ما يقدم على شاشة (التليفزيون)، على أن يوضح له بأن ما يشاهده هو مجرد تسلية خيالية لا تمثل نموذجًا صادقًا لعالم الواقع.

* يجب العناية بالفقرات الأجنبية، التى تظهر على شاشات (التليفزيون) واختيارها بدقة شديدة؛ لأنها يمكن أن تُغرق أطفالنا فيما لا يفيد، أو قد تؤدى إلى تثبيت قيم ومفاهيم خاطئة تُضرُّ بهم، علمًا بأنه قد كثرت الخرافات والمشاهد العنيفة فى البرامج الموجَّهة للأطفال.

كما يحظر تقديم المعلومات والأفكار بطريقة خاطئة، وألاَّ تتضمن البرامج ما يؤدى إلى تعليم الأطفال وسائل مبتكرة لارتكاب الجرائم، يُمكن تقليده من قبَل الأطفال، حتى ولو انتهى البرنامج مثلاً بإدانة المجرم والتنديد بالجريمة، خاصة ويؤكد علماءُ النفس أنَّ هناك علاقة ارتباط بين ازدياد البرامج المليئة بالسلوكيات الإجرامية وأعمال العنف، وازدياد الأساليب السلوكيَّة العدوانيَّة من قِبَل الأطفال والمراهقين.



الفصل الرابع

المشاكسة



المشاكسة

كثيرًا ما يعترى الأم قلق بالغ، حينما يبدأ طفلها فى مقاومة جميع المحاولات المبذولة لتعليمة وتقويمه، فيبدو دائمًا وكأنه يريد أن يفعل عكس ما يقال له تمامًا، وتميل الأم إلى الاعتقاد أن مكروهًا قد ألم بطفلها، وكلما حاولت الأم نتيجة لذلك أن تكون أكثر حزمًا، أصبح الطفل من الناحية الأخرى أكثر مقاومة وعنادًا!!

* السلبية كمظهر للمقاومة والعناد :

نستطيع أن نؤكد أن معظمَ الأطفال الأسوياء ما بين التسعة أشهر وسن السنة والنصف - على وجه الخصوص - يمرُّون بمرحلة يُطلق عليها «مرحلة السَّلْبيَّة»، والواقع أن سلوك الطفل الرافض يأخذ أشكالاً متعددةً، فقد لا ينطق الطفل - أحيانًا - بكلمة: لا، ولكن سلوكُه الرافض يعبِّر عنها؛ فإذا قالت الأمُّ أن الوقت حان للخروج، آثر الطفل البقاء فى المنزل مُبْديًا عدم الرغبة فى الخروج، وحينما تحاول الأمُّ أن تهيِّئ طفلها للخروج من البيت سريعًا.. فإنَّه يتلكَّأ، وهكذا نرى أن الطفل يتصيَّد جميع الفرص المواتية لمقاومة رغبات والديه أو تنفيذ مطالبهم.

وفى الليل.. فإن الطفل كثيرًا ما يميل إلى المقاومة فيرفض الرُّقاد، وعندما يوضع فى الفراش يصبح خائفًا عندما تتركه أمه وحيدًا، على أن الأطفال ذوى العزيمة القوية أصعب بكثير فى هذا الصدد من الأطفال الذين يتَّسمون بالهدوء.

وعلى أية حال.. فإن جميع الأطفال يكونون فى أسوأ حالاتهم، عندما ينْتابهم التعب والإرهاق أو الجوع أو الشعور بالضيق أو الإصابة بالمرض.

وعندما تبدو هذه السَّلْبيَّة فى سلوك الطفل، فهى تتشابك وتتضافر مع عوامل أخرى من جوانب حياة الطفل، منها: ميل الطفل إلى الكشف وحب الاستطلاع فيدأب على وضع الأشياء فى فمه، وهنا تصبح مُشْكلة سلوك الطفل ليتبع النظام ويحرص عليه، مشكلة حادة بين الأمّ والطفل، ونؤكد أن حالة السَّلْبيَّة هذه تتفاقم بالمعالجة الصارمة أو بالنقد الجارح، أو إثارة مشاعر الغيرة لديه، أو الافتقار إلى المحبة والحنو والحنان، لذلك ننصح الأمّ بمعالجة السلوك السَّلْبِى بطرق فعالة بعيدة عن العصبيَّة أو التوبيخ، فقد تكون تسْلية الطفل وجذب انتباهه لنشاط معين طريقة مفيدة وفعَّالة لمعالجته، وقد يبدأ الطفل اللّعب بمحتويات القمامة، وحينما تحذره الأمّ أو تنهاه عن هذا السلوك يرفض ويُقاوم؛ لذلك نرى أنه من المفيد تشجيع الطفل على ممارسة نمط آخر من اللَّعب يكون مقبولاً، ويمكن للأمّ أن تعطيه لُعْبةً بديلة، أو تَدَعْه يدخل حجرته الخاصة، وتقدم له لُعْبةً جديدة لم يلعب بها قبلاً.

وقد لا تُجْدى هذه المحاولات أحيانًا، إذا كان الطفل شديد السَّلْبيَّة وعنيدًا إلى درجة غير عاديَّة، فقد تبدو مقاومة الطفل وتشبثّه برأيه درجة يصعب معها إقناعه بترك ما يقوم به؛ خاصة إذا كان يعْلَم أن هذا النشاط لا ترضى عنه الأمّ وترفضه!! لذلك ينبغى البحث عن الأسباب التى جعلته على هذا القدر من المقاومة والعناد، وذلك فى إطار الجوّ الأسرى المحيط به، وكذلك البحث عن الطرائق التى يتعامل بها.

وتجاه هذا السلوك السيِّئ تجاه الأمّ، نجد أن هناك نوعين من أنواع ترضية الطفل هما:

* **الأول**: إدراك الأمّ التام بأن «السَّلْبيَّة» إنَّما سلوك سويّ، وأن جميع الأطفال ـ دون استثناء ـ يمرون بتلك المرحلة وهو أمر طبيعى، وأن سلوك الطفل نحوها

لا يعنى أنها أمٌّ غير كفء، أو أنَّها إنسانة غير محبوبة بالنسبة له، وعلى ذلك فسوف تكون الأمُّ أكثر تسامحًا تجاه الطفل، على أن شعور الطفل بذلك عليه معوَّل كبير.

* **الثانى** : إدراك أن هذه الأزمة ستمر وتزول كغيرها من الأزمات، ولكن «السَّلْبيَّة» كظاهرةٍ سلوكيَّة لا تمر بسهولةٍ عند جميع الأطفال بالقدر نفسه، إذ نجد أن بعضهم يواجه صعوباتٍ كثيرة بدرجة يبدُو لنا معها أنهم لن يتخلَّصُوا من سلوكهم السيئ هذا، على أنه كلَّما اقترب الطفل من عامه الثانى، يقل هذا النمط ويعود الطفل هادئًا كما كان، وإن كان الطفل لن يتخلص نهائيًّا من الآثار المترتِّبة على هذه الأزمة. وهنا ينصح عُلماءُ النفس والتربيَّة الأمهات باتباع نظام صارم وحازم مع أطفالهن، فإذا كان الطفل يميلُ بشدة إلى معارضة السُّلْطة والانتصار عليها، فمن الأفضل للأمهات أن يتفهمن طبيعة النمو، وأن يكن أكثر مُرُونة مع أطفالهن فى المواقف التى تبدو لهن فيها أن المخاطرة بالسُّلْطة ليست على جانب كبير من الأهميَّة؛ وهذا لايعنى أننا ننصح بإباحة مطلقة لسلوك الطفل دون ضوابط، أو ننصح بتنازُل الأمهات عن سلطتهن نحو أطفالهن، ولكن كشفت نتائج الملاحظة المنظَّمة لسلوك الأمهات اللاتى يتّسم سلوكهن بالفاعلية مع أطفالهن أن هؤلاء لم يتنازلن أبدًا عن سلطتهن أمام أطفالهن، ولكنهن تميَّزن بالحكمة والثقة بالنفس بدرجة سمحت لهن بترك أطفالهن يكسبون بعض الجولات منهن؛ حتى تزول الأزمة بسلام.

ولابد أن تدرك الأمُّ أن «السَّلْبيَّة» والرفض أنَّما أمرٌ عادىٌّ، وليس بالشىء المسمى كلفظ دارجٍ «بالعفرتة»؛ فالأيام تأتى دائمًا بالطيب والردىء، ولكن كلَّما نمّا الطفل وكَبر تضاءلت تلك الأوقات المقْلقة الحرجة شيئًا فشيئًا لاسيما، إذا أُحيط الطفل بالحنو والحنان والصبر والهدوء من كلا الوالدين.

*** حيل الطفل في جذب الانتباه :**

تُعدُّ رغبةُ الطفل فى لفت الأنظار من السمات البارزة للطفل السوىّ، وذلك

بين سن تسعة أشهر حتى ثلاث أو أربع سنوات، إنه يرغب أن يكون فى بؤرة الاهتمام، وأن يُعامل من الجميع كشخصيّة مستقلة لها أهميتها.

والطفل حينما يبلغ السنة الأولى يجد لذةً غامرةً فى أن يأتى ببعض الحركات والتصرفات التى يضحك لها الجميع. وقد يجد الطفل فى رفض الطعام، أو مضغه مضغًا جيدًا، وسيلة مجديةً وناجعةً لجلب الضوضاء! وقد ينجح الطفل فى أن يجعل المنزل بأكمله يفكر فيما يريد هو أن يأكله أو يشربه. ونرى بعض الأطفال يتعمّدون أن ينْثُروا الطعام على الأرض، إذا ما وجدوا من يضحك لهم!!، وقد يسعل الطفل سعالاً مفتعلاً ومتعمدًا، ما دامت هناك جهود تُبذل لمنعه. وإذا ما تباطأت الأمّ فى إحضار ما يريد، فإنه يجد اهتمامًا إذا ما استلقى على الأرض وصرخ بأعلى صوته وركل بقدميه، وهكذا يظل الطفل يكشف الطرق المختلفة لجذب الانتباه، ما دامت الأم مندفعة، عديمة الحذر.

وهناك طفلٌ تعتْريه البهجةُ والسعادةُ إذا أدّعى المغص أثناء الليل؛ إذ إنّ أمّه تهرع إليه وتجلس بجواره وتقبِّله وتعطيه شرابًا ساخنًا؛ ويتكرر هذا كل ليلة!

وعلى الوالدين أن يكونا دائمًا يقظين تجاه هذا النوع من التصرفات؛ فكل طفل ذكى يحاول ممارسة الخداع والحيلة، والمعالجة الحاسمة لهذه الحالة تكون بتجاهل هذه المحاولات وصرف نظره عنها، وكلّما قلّ اضطراب الوالدين نحوه، زادت فرص تخلّيه عنها. أمّا العقاب فنادرًا ما تترتب عليه نتائج طيبة.

غير أن التجاهل وعدم الاهتمام لا يكفيان، بل يجب الحرص على منح الطفل الثناء والتقدير والاهتمام والتشجيع المناسب حينما يستحق ذلك، أمّا إذا لم يجد المعاونة والتشجيع... فإنه سيبحث عن طرق أخرى ينال بها الثناء والاهتمام.

على أنه يجب أن يُعطى الطفل عملاً ما يكون مسئولاً عنه، فإن هذا ينمى لديه روح الثقة فى النفس والشعور بالذاتيَّة والأمن والاطمئنان.

*** المزاج العصبي :**

السن المألوفة لانتشار نوبات الغضب بين الأطفال هى بين ١٨ شهرًا وثلاث

سنوات وهى سن الرفض والمقاومة، وقد يمرُّ الطفلُ الهادىء بهذه المرحلة، دون أن تظهر عليه أعراضها بوضوح، على حين تتكرر لدى الطفل العنيد؛ إذ يجد من الصعب عليه إدراك أنه لا يستطيع أن ينال كل ما يريد، وأن عليه أن يستجيب لإرادة والديه. ولذا تُعَدُّ نوبات الغضب هذه طبيعيّة لديه إلى حد ما، وتزداد هذه النوبات نتيجة للتّعب والجوع والغيرة، كما تزداد نتيجة للصّرامة الشديدة والنّقد المستْمِر.

والطفل فى هذه النوبات يُلوِّح بذراعيه ويصيح بأعلى صوته، وقد يرفس أمه أو المائدة، وقد يتعمَّد إلقاء بعض الأشياء على الأرض وتحطيمها، وكلَّما زاد الاهتمام بهذه النوبات، طال أمَدُها ولا تجدى محاولات التهدئة، أمّا الضرب فلا يؤدى إلاَّ إلى زيادة صوته ارتفاعًا.

وما يمكن أنْ نفعله، أنه لا يجوز أنْ نجعل هذه النوبات مؤدِّية إلى ما يريده الطفل، ثم نعمل على معالجة سببها كالشعور بفُقْدان الأمْن، أو التّعب والارهاق. ولابد أن تمرَّ هذه النوبات، دون تحقيق شىء يرجوه الطفل وإلاَّ فإنها ستتكرر حتمًا، إذ ينبغى أن يتعلَّم الطفل أن الصيِّاح عند الغضب لن يؤدى به إلى نتيجة. وإذا أدَّت النوبات إلى قلق الوالدين، وإذا بذلا جهدهما لإقناع الطفل بالكَفّ عن صياحه، فلا شك فى أنها ستستمر، أمَّا إذا تجاهلها الوالدين وغادرا الغرفة فسوف تزول هذه النوبات، ولكن علينا من ناحية أخرى أن نمنحه العطف والحنوّ، وأن نتجاهل الحادث الذى وقع، ولا نذكره مرة أخرى. أمَّا محاولة مناقشته بالمنطق أثناء نوباته فلن تُجْدى، وأفضل عقاب للطفل هو عدم إبداء أى اهتمام به وتجاهل صياحه تمامًا.

*** نوبات ضيق التنفس :**

تظهر هذه النوبات بين سن سنة وثلاث أو أربع سنوات؛ فعندما يشعر الطفل بالغضب لعدم حصوله على شىء يريده، أو إذا أصيب بصدْمة شديدة. . . فإنه يصيح لمدة ثانية أو اثنتين ثم يقف تنفُّسه (بعد الزفير)؛ أى إنه لا يعود إلى

الشهيق، وسرعان ما يميل لونه إلى الزرقة؛ ثم يرتجف جسمه إذا استمرَّت الحالة من عشر إلى خمس عشرة ثانية.

وليس من السهل علاج هذه الحالات، ولكن من المهمِّ ألاَّ يُحاط الطفل أثناءها إلاَّ بأقل ضجة ممكنة، ولا ينبغى أن ينال بعد نوبة كهذه ما يريده، ولكن ينبغى ألاَّ نسكت على هذه الحالة، وعمومًا فإنه من الأفضل للأمِّ أن تحاول دفع الطفل إلى التنفس، وذلك برفعه من قدميه وتنكيس رأسه إلى أسفل.

وقد أثبتت الدراسات فى السنوات الأخيرة أن هذه النوبات ترتبط غالبًا بنوع خفيف من «الأنيميا»، وهذا أمر يجب عرضه على طبيب متخصِّص للعلاج.

*** التفاخر والمباهاه :**

فى سن الرابعة على وجه التحديد، يصبح مُعْظم الأطفال ميَّالين إلى التفاخر والمباهاة فهم يكونون قد تعلَّموا أشياء كثيرة خلال السنوات السابقة ، ولذلك يتصوَّرون أنهم يعرفون كل شىء ، وهذا مسلك طبيعى ، لذلك نُحبِّذ فكرة تشجيع روح المنافسة بين الأطفال ، وإن كانت تلقى نوعًا من التحفظ بين الآباء، ولكن عُلَماء النفس ينصحون الآباء الذين لايجدون غضاضةً في ذلك بتشجيع روح المنافسة بين الصغار في الإطار المعقول . وقد قام "دافيد مكسمليان" فى جامعة هارفارد الأمريكية بدراسة ما يسمى "الدافع إلى النجاح"، وقد اعتبرت الدراسة أن الطفل الذى لا يبدى روح المنافسة إنّما هو طفلٌ متأخرٌ؛ لأن مفهوم المنافسة يحمل ضمنيًا معانى مرغوبة، ولا شك أن مفهوم السلوك المنافس يتضمن طريقة تَوْفير المصادر الضرورية المتاحة لأداء العمل، وحُسْن استخدام الفرد لها. ويلاحظ أيضًا تفسيرات خاطئة فى التطبيقات التربويَّة لروح التنافس. وفى المنافسة ينشغل المنافس بالرغبة فى النجاح، وبالأداء الجيِّد للعمل المطلوب منه، كما يهتمُّ بمستوى أداء العمل ليكون مُستْواه هو أفضل من مُستْوى آداء الأخرين.

* ولكى يستفيد الآباء من التنافس كعامل حافز للإنجاز والتفوق، يجب أن يضعوا فى اعتبارهم ما يلى:

* قد يشيع الاستخدام غير الواعى لهذا العامل بين الأطفال جواً من البغْضاء والحقد والغيرة، ومن ثمَّ يكون التنافس فى هذه الحالة عاملاً مثبِّطًا، علاوة على التوتر الذى تنعكس آثاره عليهم. لذلك على الأب الواعى أن ينقل إلى أطفاله أنهم متفاوتون فى القدرات والاستعدادات، وأن كلاً منهم يستطيع أن يحقِّق، وأن يُنْجز فى بعض المجالات دون الأخرى، وأن المجال الذى يتفوق فيه طفلٌ قد لايتفوَّق فيه آخر؛ لذلك فعلى الطفل أن يبذل كل جهده فى الأداء، وأن يتقبل النتيجة بكل الرِّضا؛ لأنها تعكس مجهوده وقدراته، ويمكن للأب أن يحللَ النتيجة حتى يعرف نواحى القوة ونواحى الضعف فى أدائه؛ فيعمل على تقوية نِقاط الضَّعف. وعلى الأب أن يُحافظ على سلامة العلاقة بين الأطفال؛ فَلايجعل أحدًا منهم يشعُر بالغيرة نحو مَنْ سبقوه، أو يشعر بالاستعلاء نحو من سبقهم.

* يلاحظ أن بعض الأطفال يخشون مواقف التنافس لعوامل تنشئتهم، وأنهم إذا اضطروا إلى ذلك انخفض مستوى أدائهم بصورة كبيرة، ونراهم يتحاشون المواقف التى تتضمن تنافسًا مُعْلَنًا، ويفضِّلون العمل بعيدًا عن كل ما مِنْ شأنه أن يجعل هناك مقارنة بين آدائهم وأداء الآخرين، مع رغبتهم الحقيقيَّة فى التفوُّق على أقرانهم، على أن هؤلاء الأطفال غالبًا ما يعانون من «الشعور بالنقص وإحساس دفين بالدونيَّة»، وهم يُحْجِمُون عن الدخول فى مواقف التنافس؛ لأن احتمال عدم الفوز فيها ـ وهو احتمال وارد فى ظل الثقة المفتقدة ـ يذكِّرهم بالمهانة والمرارة ، التى قد يكون تعرضوا لها فى مواقف أخرى لم تكن في صالحهم ، ولذلك يتحتَّم على الآباء تصحيح هذا المفهوم في إطار مساعدتهم على بناء ثقتهم بأنفسهم، معتمدين على المفهوم الصحيح للتنافس كعامل بناء، وليس كعامل هدم .

* هناك من الأطفال من يتحمسون لمواقف التنافس ، ولكن على أساس غير صحى فالرَّغبة فى التنافس عند البعض تُخْفى وراءها شعورًا عدوانيًّـا تجاه المنافسين ، ويحقق لهم الفوز أو التفوق في هذه الحالة إشباع الدوافع العدوانيَّة،

كما تدعوهم الهزيمة أو الفشل إلى الرَّغبة في الانتقام بالمشاعر السَّلْبيَّة تجاه المنافسين المتفوقين ، هؤلاء الأطفال يكوِّنون مفهومًا غير صحيح للتنافس في ظل التربية الخاطئة ، لأن بعض الآباء يتَّخذون أبناءهم وسيلة لتحقيق مطامحهم، التى فشلوا هم في تحقيقها بأنفسهم ، ومن ثمَّ يطالبون أبناءهم دائمًا بمستويات عالية من الإنجاز والتحصيل ، ويدفعونهم إلى المنافسة الشرسة تحقيقًا للفوز، مهما كان الثمن، متجاهلين إمكانات الأبناء العقليَّة والجسميَّة، وظروفهم المحيطة بهم. على أن من تسعفه قدراته من الأطفال على التفوق، يرحب بهذا التنافس؛ باعتبار التفوق على المنافسين الوسيلة المحققَّة لمطلب الآباء، والتى أصبحت مطالبهم الخاصة، أمَّا من لا تسعفه قدراته. . فإنه يتعرض لضغوط شديدة مُتعدِّدة المصادر، تؤدى بهم فى كثير من الأحيان إلى المشكلات السلوكيَّة والعصابيَّة؛ ولذلك يلزم تصحيح هذا المفهوم الخاطئ للتنافس بإتاحة العلاقات البنائيَّة، التى قوامها التَّفاهم والعطاء المتبادل والوُّد، على أن يدركوا أنهم يستطيعون أن يحقّقوا من خلال هذه العلاقات، أكثر ممَّا يمكن تحقيقه من خلال التنافس العدائى، وأن تحقيق الإنجاز ليس بالضرورة أن يكون على حساب العلاقات الطيِّبة مع الآخرين، وأن التعاون والعلاقات الفرديَّة لا تتعارض مع الحافز الفردى للنجاح والتفوق.

وعلى ذلك وفى إطار الفهم السليم للمنافسة ـ كما أوضحنا ـ ننصح الآباء بتشجيع أطفالهم على التنافس، ومن السَّهل على الآباء متابعة ما يحقّقه أطفالهم فى هذا المجال، مع الشُّعور بالفخر لمساعدتهم على تنمية قدراتهم؛ لتقديم أفضل إنتاجهم مع رفع كفائتهم فى الأداء.

* أمَّا عن تدعيم شعور الطفل بالفخر والمباهاة عند النجاح والتفوق، فلا شك أن نموَّ وعى الطفل ونمو تقدمه خلال العام الثالث من عمره يصاحبهما ميلٌ متنامٍ للبحث عن تدعيم لنشاطه، وتشجيع من الكبار للأعمال التى ينجح فيها، ومن الملاحظ أن الأطفال منذ هذه السن يحاولون التكلُّم بفخر عن مهارات جديدة اكتسبوها. وعادة مايشعر الطفل بالفخر بالنجاح، وفى هذا المجال ينبغى أن يعلم الآباء جيدًا أنه ليس من مصلحة الطفل فى شيءٍ أن يهنِّئه والداه على عمل،

لايعكس مجهوداً بُذل لأداء يستحق التهنئة عليه؛ ولهذا ينبغى ألاَّ يغالى الآباء فى وضع مستويات لنجاح لأطفالهم، تكون أعلى من قدراتهم الحقيقيَّة؛ لأن ذلك يصيبهم بالإحباط واليأس فى بلوغ هذه المستويات هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا ينبغى أيضًا تهنئة الطفل على عمل يقلُّ عن مستوى قدراته الحقيقيَّة؛ لأن فى ذلك مخاطرة على الصغير، إذ يتبنَّى معايير عديمة القيمة، أو يبنى طموحات لاتطابق قدراته الحقيقيَّة.

وعلى هذا ينبغى أن يكون تقدير الآباء لطفلهم تقديرًا موضوعيًّا، مرتبطًا بمستوى الأداء، على أن يقدر الآباء مستوى أداء أطفالهم بشىء من التسامح، الذى يتماشى مع مستوى نمو الطفل ونضجه البسيط، منذ بداية السنة الثالثة من عمره.

*** فرط النشاط :**

يشكو كثيرٌ من الآباء من أن أطفالهم لا يجلسون ساكنين أبدًا، والأطفال فعلاً لا يجلسون ساكنين، وإن كان بعضهم أكثر نشاطًا من البعض الآخر، ممَّا قد يؤثِّر على أعصاب الأمِّ بصفة خاصة. ومن الصعب أن نضع تعريفًا محددًا لفَرْط النشاط؛ فما يكون طبيعياً فى إحدى السنوات، لا يكون كذلك فى سن أخرى، إنه من الطبيعى أن يكون الطفل مُفْرِط النشاط دائم الحركة، غير قادرٍ أبدًا على البقاء ساكنًا، فطفل السابعة مثلاً لايستطيع أن يسير فى الطريق إلى جانب أمِّه، دون أن يقفز أو يحجل، وهى مرحلة يجتازها معظم الأطفال مع تقدُّمهم فى السن، وإن كان بعضُهم يبقى على نشاطه المفْرِط، وقد يرجع ذلك إلى المحاولات المُبالغ فيها للتضييق عليه، وكثيرًا ما تكون هذه الصفة وراثيَّة تنتقل للطفل من أحد والديه، وكثيرًا ما وجدنا أحد الوالدين، كان قد سلك هذا المسلك نفسه، عندما كان صغيراً مثله.

وجديرٌ بالذِّكر أن الطفل الذى ولد قبل الأوان، أو تعرضت أمُّه وهى حامل به، لتسمم الحمل، أو تعرض لعُسْر التنفس عند الولادة، تظهر عليهم فيما بعد

مظاهر النشاط المفرط، وتؤكد معظم الدراسات أن الأطفال المفرطى النشاط من ذوى الذكاء العادى أو العالى. وقد يكون سبب هذا النشاط المفرط الشعور بالملل، وهذا أمرٌ مقدور علاجه؛ فإذا لم يكن هذا هو السبب فلا حيلة لنا فيه إلاَّ بالسَّماح بأكبر قدر ممكن من الحرية، وبأقل قيود ممكنة؛ خاصة فى الهواء الطلق، أمَّا محاولة دفع الطفل إلى الجلوس بلا حركة.. فهى محاولة مقضى عليها بالإخفاق. وعلى هذا النحو... فإنه من الواجب ألاَّ نَضيقُ بحركة الطفل الزائدة، فهى مراحل نمو طبيعيَّة، وإن كان من المفيد تدريبهم على بعض الألعاب الرياضية والحرف المختلفة، وتشجيع الهوايات ذات الطابع العملى، وكذلك على الأعمال المنزليّة وخدمة أنفسهم بأنفسهم.

*** الميل للمنازعة :**

معظم الأطفال الأسوياء يبدو عليهم الميل للعدوان؛ خاصة إذا كانوا من البنين فهم يميلون إلى ألعاب المقاتلة، ومن الطبيعى أن يجد الطفل ابتداءً من سن عامين صعوبة فى اللَّعب مع أقرانه؛ إذ لايكون قد تعلّم المشاركة بعد فى اللَّعب الجماعى، وإذا كان الطفل من الطراز العنيد، الذى يريد دائمًا أن يقود، لا أن يُقاد... فإن الاحتكاك بالآخرين يكون طبيعيًا. وكذلك فإن ضرب الأطفال الآخرين من حين لآخر هو أمرٌ طبيعىّ، إذا كان له ما يبررهُ، أمَّا إذا كان الميل إلى الضرب يتجاوز الحدَّ فلا بُد من البحث عن سببه. وعمومًا تزداد هذه الظواهر عند التعب أو الجوع، أو الملل، أو الغيرة، أو فقدان الأمن، وكذلك إذا أُحيط الطفل بالأوامر والنواهى، أو لم يجد الحريَّة أو الفرصة الكافية للَّعب ـ سواء فى داخل المنزل أو خارجه ـ لعبًا يكفى لتصريف طاقته المخزونة.

وكثيرًا ما يكون الضَّرب أو الإيذاء أداة للفت النظر؛ إذ إنهما يؤديان بطبيعة الحال إلى استرعاء الانتباه والاهتمام، وحينما يُدْرِك الطفل مدى قلق أمِّه إزاء هذا السلوك، فذلك يدفعه إلى الاستمرار فيه، ولذا فإن إحدى وسائل المعالجة هو أن تتجاهل الأمُّ الاهتمام بالأمر، وأن تعْمَد كذلك إلى صرف اهتمام الطفل إلى أمرٍ

آخر، عندما ترى أنه من المحتمل أن يضرِب الأطفال الآخرين. على أنه لا يجوز أن نسمح للطفل بإيذاء أحد، ولنعمَد بقدر المستطاع إلى تنحيته عن المكان، الذى يجد فيه ما يُغْرِى بضَرْب الآخرين، ويُعاقب بتركه منفردًا إلى أن يُقْلِع عن هذا التصرُّف؛ لأن ضَرْبَه يُزيد شعوره بفقدان الأمن، وهو السبب الكامن للمشكلة كلها. كذلك ليس من الحكمة أن نطلب من الطفل وعدًا بألاَّ يعود إلى ذلك؛ حتى يبلغ سن الخامسة؛ لأنه عندئذٍ يكون قد فهم معنى الوعد.

وقد يكون الضَّرْب والإيذاء ناتجًا عن التقليد والمحاكاة: محاكاة الأصدقاء ذوى السلوك السيِّىء، وربما محاكاة أحد الوالدين، فالوالد الذى يضرب ابنه بكثرة عند الغضب، يجب أن يتوقع أن يضرِب ابنه الآخرين عند الغضب، ولذا ينبغى للآباء أن يوفروا للأبناء القدوة الطَّيبة.

ومن الضرورى أن يعمل الوالدان على إزالة الشعور بفقدان الأمن؛ خاصة المغالاة فى السَّيطرة، ولابد من بذل جهودٍ خاصة لإشعار الطفل بأنه محبوبٌ ومرغوبٌ وموضع اهتمام وأن له مكانةً مرموقةً فى المنزل، ويحسن أن يوجَّه إليه كثيرٌ من الثناء والتشجيع ليكفَّ عن لفت الأنظار إليه بطرقٍ سلبيَّة، وينبغى إتاحة الفرص أمام الطفل لتصريف طاقته بتوفير اللُّعب، التى تحوى أجزاء كثيرة يفكِّكُها ويركِّبها، وبلعبه أيضًا فى الهواء الطلق، وغالبًا ما تحل المشكلة نفسها بنفسها نتيجة للحب والإيثار والصبر والتفهُّم.

*** الميل للتدمير :**

قد يكون الميل للتدمير غير متعمَّد بسبب نقص خبرة الطفل، وتجريبه فى الإمساك بالأشياء القابلة للكسر، وقد يحدث أن يكسر بعض الأشياء عمدًا نتيجة حب الاستطلاع والرغبة فى المعرفة. والطفل لا يقدِّر بطبيعة الحال قيمتها، ولايستطيع أن يتبيَّن نتيجة فعلته، ويبدو أن الميل المتعمَّد لتدمير وتحطيم الأشياء بين الأطفال الأسوياء يرجع ـ فى العادة ـ إلى الشعور بالرغبة فى المعارضة، وإلى القلق والغيرة.

والنزوع إلى العدوان منتشر بين الأطفال المتخلّفين عقليًّا؛ لأنهم لا يفهمون ماذا يفعلون. ويمكن تجنب هذا الميل بإبعاد الأشياء التى يمكن تحطيمها، وينبغى منذ البداية منع الطفل من الإلقاء بالأشياء فى أنحاء الغرفة، فإذا تعمَّد تحطيم إحدى اللُّعب فإننا نبعدها عنه ونخفيها بضعة أسابيع، وسنلاحظ أنه يفرح عند رؤيتها من جديد. وينبغى أن ندبِّر له وسائل أخرى للتنفيس عن طاقته؛ وبخاصة فى الهواء الطلق، ويجب بذل كل محاولة لشغل وقته كله، كذلك ينبغى معالجة كل سبب من أسباب الشعور بفقدان الأمن؛ فالطفل يميل للتدمير بدافع الاحتياج إلى الحب والثقة والأمن والسعادة، مع العلم بأن العقاب يؤدى إلى تفاقم الأمور، لا إلى التخفيف منها.

*** استخدام الألفاظ البذيئة :**

يرجع استخدام الألفاظ البذيئة بين الأطفال إلى تقليد آبائهم أو تقليد الأطفال الآخرين، وهم لا يعرفون معنى الكلمات التى يستخدمونها، ولا شك أنهم سيعودون إلى تكرارها إذا ضحكنا منها، كما قد يلجأون إلى ذلك كوسيلة لجذب الانتباه، وإذا لم تكن لدى الطفل فرصة لسماع كلمات كهذه فى المنزل، أمكننًا أن نمنعه من تكرارها بأن نطلب منه ترك ترديدها، وإذا لَم يرددّها غير مرات قليلة (مرة أو مرتين) فالأفضل تجاهلها. وكلَّما عُولِج الأمر بهدوء، كان ذلك أفضل. ويجب أن ننبِّه أنه يجب الحرص على ألاَّ نضحك للطفل عند نطقه بمثل هذه الكلمات.

*** الأنانية :**

لانستطيع أن نتوقَّع زوال الأنانيَّة، إلاَّ بعد انتهاء السنة الثالثة من عُمْر الطفل، كما لا يمكن إلزام الطفل بترك الأنانيَّة فهو يتركها بالتدريج ويتعلَّم الإيثار بالتقليد والمحاكاة والتوجيه الحكيم، وليس لنا أن نتوقَّع أن طفل الثانية أو الثالثة من العُمْر يُشرك طفلاً آخر فى لُعبه، ويكون من الخطأ أن نحاول دفعه إلى ذلك، فهو لا يتعلَّم ترك الأنانيَّة بالقوَّة.

وينبغى على الأمِّ أن تساعد طفلها على مشاركة الآخرين فى اللَّعب بطريقة خاصَّة، فإذا جلست بالقرب منه وهو يلعب، عليها أن تظهر اهتمامها بلعبته وتلمسها بيدها، وهو قابض عليها فإذا أعطاها لها، عليها أن تأخذها منه وتشكره ثم تعيدها له فى الحال، حتى لا يشعر بأنه فقد اللُّعبة، وبذلك يتعلَّم المشاركة.

وعلى الأمِّ أن تنوِّع الألعاب التى تشارك طفلها فيها، والتي تجعله يعطى ويأخذ، وعلى سبيل المثال يمكن للأمِّ أن تُعْطى طفلها قطعتين من الحلوى، وتطلب منه أن يأخذ لنفسه واحدة ويعطى الأخرى لأخيه، وعليها أن تكرر الجملة: «هذه لك أنت والأخرى لأخيك»، حتى يدرك الطفل ما تعنيه الأمُّ، وعندما ينفذ طلبها، على الأمِّ أن تضمَّ طفلها إلى صدرها وتشكره بحيث يشعر بتقديرها لعطائه. وعلى الأمِّ ألاَّ تقلق عندما يتشبث الطفل بحاجياته، ويرفض العطاء، ومشاركة الأخرين فى اللَّعب بحاجياته أو لعبه؛ لأن هذه سمة طبيعيَّة فى جميع الأطفال منذ سن الثانية أو الثالثة.

ومن الأفضل ألاَّ تضغط عليه؛ إذ إن تشبثه بحاجياته هو نمو من سلوك مرحلى، يتطلب مرونة الأمِّ، وفهم لطبيعة الأطفال؛ إذ لابد من سنين طويلة من المران والتدريب؛ حتى يدرك الصغير معنى العطاء فيتخلص من أنانيَّته؛ لأن هذه الممارسات تعطى للطفل فرصة ممارسة العطاء وعدم الأنانيَّة.

وينبغى على الوالدين أن يبذلا جهدًا خاصًا لضرب المثل والقدوة فى التعاطف والإيثار والكرم، ولتشجيع الطفل على أن يتصرَّف تصرفات مماثلة، وينبغى ألاَّ نعمد إلى تأنيب الطفل إذا لم يتصرَّف بالأسلوب نفسه. ولا يفوتنا أن ننوِّه أنه إذا عَرَضَ الطفل بعض ما يملكه من حلوى على أحد أفراد الأسرة الكبار؛ ليشاركوه فيها فلايجب أن نعتذر، بل يحسن أن نتقبلها منه بترحيب واهتمام وتشجيع؛ كى يتعلَّم العطاء. وكذلك يجب أن تكون لدى الطفل أشياؤه الخاصة؛ حتى نعلِّمه ما الفرق بين الملكيَّة العامة والملكيَّة الخاصّة (الشخصيّة)، وحتى يتعلّم كيفيَّة المحافظة على ملكيَّة الآخرين الخاصَّة.



الفصل الخامس

المشاجرات



المشاجرات

حين يكبر الطفل يتعلَّم كيف يجعل احتجاجه أكثر تأثيرًا، فالطفل الذى يبلغ العام من عمره يسمح للراشد أن يأخذ لعبته من يده، ثم بعد عام من ذلك يجرى مبتعدًا لكى يتجنب انتزاعها منه، .ولكنه سيحاول بعد ستة أشهر من ذلك أن يضرب خصمه، فإذا لم ينجح فى ذلك فإنه سيجرى مبتعدًا، وهو يصرخ للحصول على مساعدة من غيره. وكلَّما تقدم فى العمر، يتكشف نضاله عن أساليب مختلفة؛ وفقًا لدور النمو الذى بلغه، فالطفل المشاكس يعبر عن مشاكسته هذه بالرقاد على الأرض والبكاء والرفس، ولكن كل ذلك يتحول فى محيط الفتيات الصغيرات إلى مظاهر أخرى كالسباب والسخرية.

*** العوامل التي تؤدي إلي مشاجرات الأطفال :**

*** الطفل ذو النزعة العدوانية :**

هذا الطفل لا يضطهد إخوته أو أخواته فقط، بل يضطهد أطفال الآخرين سواء فى الحى أو المدرسة، إذا وجد أن فى استطاعته أن يفعل ذلك دون عقاب، حتى إذا عُوقب فإنه لا يرتدع، بل يتمادى فى إيذاء الآخرين، وقد يتلذذ بذلك، وعادة ما ينشأ توتر شديد بين هذا الطفل وبين والديه ومُعلّميه.

* الطفل ذو النزعة الاستفزازية :

هناك نوعٌ آخر من الأطفال يعانى حالات مزمنة، ذلك حينما يدفعه شعوره بالعداء إلى البحث عن المتاعب، فهو بطبيعة تكوينه يعمل على استفزاز الأطفال الآخرين فيدفعهم ـ مُرغمين ـ إلى اضطهاده ومبادلته العدوان بالعدوان، وغالبًا ما ينتهى به الأمر إلى الظهور بمظهر الحَمل الوديع، أو الضحية المجنى عليها (كبش فداء SCAPEGOUT).

* الأم المريضة بحالات الضيق الغامض :

أمهاتٌ كثيراتٌ تبدين الرغبة فى أن يعمَّ ويسود الهدوء أرجاء المنزل، وبعضهن يثابرن لتحقيق هذا المأرب، غير أن بعضهن لايفعلن شيئًا سوى التظاهر بإصدار الأوامر إلى أطفالهن بالتوقف عن الشجار، ولكن نبرات أصواتهن لا تحمل طابع الإقناع، كما أنهن لا يتابعن تنفيذ الأوامر إلى النهاية، وبذلك لا يصلن مع الأطفال إلى أية نتيجة، بل إنهن يكدن يتفاخرن بهذا الشغب فى حديثهن إلى الصديقات أو الأقارب ـ وفى حضور الأطفال أنفسهم ـ وهذه الحالة التى تظهر لدى بعض الأمهات تمثل نوعًا من الاستسلام الغامض للشعور بالضيق والكدر، تحمله الأم عادة فى أعماقها منذ طفولتها، التى كانت ـ بلاشكٍ ـ طفولة مليئة بالضجيج والصخب.

* مواقف الإحباط :

المعروف أن الإحباط FRUSTRATION هو المنع أو الإعاقة، ويُحبَط الفرد عندما يُعاق إشباع حاجاته، وعلى ذلك فالاستجابات إلى المشاجرات تظهر عند الطفل كرد فعل للمواقف الإحباطيَّة، أو مواقف التنافس المتعددة التى لابد أن يمرَّ بها، ولا يمكن تفاديها بين الإخوة أو الأتراب، فقد يتنافس الإخوة على اجتذاب حبِّ الوالدين واهتمامهما، فإذا ظهر لأحدهما أن الآخر قد حظى بمزايا أكثر ممَّا حظى به هو، فقد ينقلب عليه غاضبًا ومنتقمًا، كذلك يثير الشعور بالإحباط عند الطفل، تلك الالتزامات المتعددة التى يفرضها عليه الوالدان، كإلزام الطفل

بالسكون والهدوء وعدم الحركة، أو بأن يرتدى ثيابه بنفسه، بعد أن كان يجد مساعدة من والديه فى ارتدائها.

وعندما يُحْبَط الوالدان، ينتابهما شعورٌ بالتوتر والضيق، وبالتالى يظهر أثر الإحباط على هيئة عدوان AGGRESSION يوجه على الفور نحو الأطفال، وعلى هذا يشعر الطفل أن والده أو والدته إنما يضطهده، فيحاول أن يردُّ العدوان، وفى هذه الحالة لايوجه العدوان إلى مصدر الإحباط الأصلى، الذى يتمثل فى الوالدين، لأن الطفل لا يستطيع أن يوجه إليهما العدوان مباشرة، لذلك فإن العدوان يُزاح إلى مصدر آخر، يتمكّن الطفل أن يعبر عن عدوانيته تجاهه، وهو فى مأمن، فيختار أحد إخوته الصغار ليوجه إليه عدوانيته المكبوتة، ومن ثمَّ تحدث المشاجرات.

والطفل الذى يعانى من إحباط شديد لمدة طويلة، فإن عدم قدرته على إنجاز هدفه قد يؤدى إلى شعوره بالفشل والقلق كما أن سلوكه فى حلِّ مشاكله الخاصة بتحقيق الهدف قد يُستبدل بسلوك هدفه الدفاع عن مفهوم الذات لديه، وعن التهديدات المتصلة بالتقدير أو الاحترام الشخصى. وفى غمار هذا الدافع الذاتى، قد يتكوّن لدى الفرد، أو تتدعّم لديه استجابات لبعض السمات الشخصيَّة كعدم الرغبة فى التعاون مع الآخرين والمنافسة ورفض الغير، ومن بين ردود الأفعال الدفاعيَّة فى مواقف الإحباط «العدوان»، الذى يأخذ شكل إحساس بالغضب، وأفعال متصلة بالتهيج، والحركات الجسميَّة العنيفة الموجهة ضد الناس عن طريق التشاجر.

*** مواقف الغيرة:**

يُعْتَبر عامل الغيرة من أقوى العوامل التى تؤدى إلى المشاجرات بين الأطفال؛ فالطفل يريد إلى حد بعيد أن يستأثر بحبِّ والديه له، وهو يخاف خوفًا شديدًا من أن ينتقص الحبّ الذى كان يمنحانه إياه، والذى قد يوجه نحو إخوته، وهذا الخوف أو القلق مدعاة لأن يشعر الطفل بالشك والارتياب فيهما، والحنق

عليهما. غير أن درجة هذا الشعور تتفاوت تفاوتًا كبيرًا؛ فالطفل الأكبر الذى ظلّ وحيد والديه يستأثر بحبهما وعطفهما مدة طويلة، يتكدّر لمقدم طفل آخر، يعتقد معه أنه سوف يَنْتَزِعُ منه الحبَّ والإيثار اللذين كان يتمتع بهما قبل مقدمه، وعلى ذلك لابد للوالدين أن يراعيا ـ قدر الإمكان ـ أن تكون تصرفاتهما محسوبة بدقة، فلا ينبغى تدليل الطفل المولود حديثًا أثناء تواجد أخيه الأكبر، الذى ظلّ سنوات طويلة ينال رعاية متميزة، ونودُّ أن نشير فى هذا الخصوص أن عنصر الغيرة والتملك فى الحبِّ ليس بالأمر المعيب، الذى يؤسف له فى شخصية الإنسان، بل إنه جزءٌ مهم من جوهرنا كبشر، نحيا بالحبِّ، ونعيش على الإيثار والتقدير، وبلا هذا أو ذاك لأصبحت العلاقات بين البشر مجرد علاقات عارضة بلا جذور أو أعماق، كل ما فى الأمر هو الاعتدال والتوازن.

والأطفال المتقاربون فى العمر هم أكثر الأطفال ميلاً إلى الشجار، بحكم أنهم يوضعون جنبًا إلى جنب فى ترتيبات الأسرة، كما أنهم يهتمون باللُّعب والأدوات نفسها، والرفاق والأصحاب أنفسهم، وكل هذه الأمور تؤدى إلى كثرة المشاحنات فيما بينهم.

وحسب شخصية الطفل ومزاجه أو بنيانه الجسمى، يتوقف كثير من مشاجرات الأطفال ، فالأطفال الأكبر سنًّا والأقوى بنية يضربون الآخرين أو يدفعونهم ، أمَّا الأطفال الذين لا يبلغون هذا القدر من القوّة أوالبأس . . . فإنهم يتسللون خفية يدمرون ، ثم ينطلقون مبتعدين .

والمعروف أن الأطفال يولدون، وعندهم ميل إلى السماحة واللُّطف، على حين أن البعض الآخر يميل إلى تأكيد الذات ، وهؤلاء الأطفال الميالون إلى تأكيد ذواتهم ، هم الذين يحتمل أن يثيروا ضجة أكثر من غيرهم، إذا شعروا بأنهم فقدوا مكانتهم المتميزة في الأسرة .

كما أن الطفل بطىءالتفكير وسط أسر لماحة متوقدِّة الذكاء، أو الطفل قصير القامة بين إخوة له طوال القامة، أو الفتاة التى ينجبها أبوان يفضلان البنين،

هؤلاء ينتابهم شعور جارف بالغيرة، إذا كانت ظروف التربية أو التنشئة فى الأسرة أو المدرسة تساعد على احتدام المنافسة بين الأطفال؛ وبالتالى تزكية الشعور بالغيرة، الذى يؤدى إلى نشوب المشاحنات.

وقد نبادر فنقول: إن عدم التكافؤ فى حبِّ الوالدين لاثنين من أطفالهما من العوامل التى تولد الغيرة، وواقع الأمر أن معظم الآباء والأمهات يتفانون فى حبِّ أطفالهم على السواء، غير أنه من المُحال أن تستمع الأم مثلاً بصحبة اثنين من أطفالها، أو أن تتكدّر من تصرفاتهما بالطريقة نفسها تمامًا، لذلك لا ينبغى أن تحاول الأم معاملة الطفلين المعاملة نفسها بالضبط، فتعطى كلاًّ منهما لحظات الاهتمام نفسها، وعدد الابتسامات نفسه.

وهناك حقيقة يجب أن ندركها، وهى أن الأطفال على المدى البعيد لا يحبون أن تُعقد مقارنات بينهم وبين غيرهم، حتى وإن كانت هذه المقارنات فى صالحهم، فإن أكثر ما يرغب فيه الطفل، هو أن يحبه أبواه ويستمتعا بصحبته لذاته هو فقط، ونذكر أن أبسط السبل التى تُثير بها الأم غيرة الطفل، هى أن تسعى دائمًا لتُقَارِن بينه وبين أخيه الذى قد تؤْثِره عليه، وهذا المنحى يجعل الطفل يحس بأنه لايحظى بحبٍّ أمه له، ومن ثمَّ يشعر بالكراهية تجاه أخيه.

وهناك كثيرٌ من الأمهات يلجأن إلى نوعٍ آخر من المقارنات ـ على اعتقاد منهن بأنه قد يمحو إحساس الغيرة من وجدانات أطفالهن، مع أنه فى الواقع يثيرها ـ فهن يحاولن قدر طاقتهن أن يقدمن الهدايا أو اللُّعب نفسها، فإذا حظى أحد الأطفال بلعبة، يحصل أخيه أيضًا على اللُّعبة نفسها حجمًا وشكلاً ولونًا، وإذا حصلت إحدى الفتيات على معطف، تحصل الأخرى على واحدٍ مثله تمامًا، حتى وإن لم تكن فى حاجة إليه بالفعل، والأم التى تحاول جاهدةً أن تلتزم جانب العدل بكل دقة كما أوضحنا، من المفروض ألاَّ تحس أنها مضطرة لشراء اللُّعبة نفسها للطفلين، أو المعطف نفسه للفتاتين، فلتحاول أن تُهدِّد بإعادة اللُّعبة إلى المتجر؛ لأن الاختيار أولاً وأخيرًا كان اختياره هو، دون تدخل من أحد. وإذا

اعترضت الفتاة لأن والدتها لم تبتاع لها معطفًا جديدًا مثل شقيقتها، فما على الأم إلاَّ أن تُذكِّرها بأنها ليست فى حاجة بعد إلى معطف جديد.

إن السبيل السليم الذى يجب أن تسلكه الأم، هو أن تتعامل مع كل طفل على أنه فرد له كيانه المستقل، يُمتَدَحُ إذا أجاد، ويُقَوَّمُ سلوكهُ متى أخطأ، ويُشَجَّع عندما يخفق، ونستمعُ له إذا تحدث، ونبتاع له الهدايا المناسبة ـ التى ينتقيها بنفسه ـ فى مناسبات نجاحه أو أعياد ميلاده، ونحدد له مواعيد ذهابه إلى الفراش؛ بُغية الاستيقاظ المبكر لضرورة الذهاب إلى المدرسة فى التوقيت المناسب، ونُكلِّفه بواجبات منزليّة يُشارك فيها؛ حتى نُنَمِّى إحساسه بالمسؤولية ومشاركته للآخرين بروح التعاون والتفانى وإنكار الذات.

الأسرة ومشاجرات الأطفال :

الطفل الذى يميل إلى التشاجر، هو طفل نشأ فى بيئة لايجد فيها العطف أو الحبّ، لم يشعرْ بالأمن والاطمئنان، وبالتالى لم يعرف معنى التضحية والسموّ بالأخلاق، ممَّا جعله يميل إلى اتخاذ مواقف عدوانيَّة، كما يميل إلى استغلال الآخرين، وإلى إلحاق الضرر بهم.

ويكتسب الطفل الميل للتشاجر، حينما يشعر أنه غير مرغوب فيه، أو عندما يسود الحياة المنزلية شجار دائم، لا ينقطع بين الزوج والزوجة على مرأى ومسمع منه.

ولموقف الوالدين الأهمية الأولى فى هذا الشأن ، فعندما يقول الأب لابنه : (اعتمد على نفسك) ، أفضل من أن يقول له : (لاتكن عنيفًا) ذلك لأن العبارة الأولى تدفع الطفل إلى حماية نفسه، هذا إذا سلمنا بأن الطفل فى حاجة إلى العراك أوالشجار، لكى يعرف جيدًا عدم جدواها أونفعها.

كما أن العوامل الأسرية تُؤثِّر فى أساليب الشجار أو العداء الذى يتخذه كل طفل لنفسه ، فالطفل الذى له أخ يكبره سنًّـا، يكون غالبًا أكثر اعتمادًا على قوته فى سن مبكرة ،من الطفل الذى نشأ فى أسرة أفرادها من الفتيات .

ويلعب الآباء دوراً كبيراً فى اكتساب الأطفال السلوك العدوانى ، الذى يسفر عنه الشجار ، من خلال محاكاة الأبناء للاستجابات العدوانيَّة التى تصدر عن الآباء؛ فالطفل الذى يشاهد أباه يحطم كل شىء حوله عندما ينتابه الغضب ، يقوم بتقليد هذا السلوك .وقد يحاول بعض الآباء عمداً تعليم أولادهم ـ وخاصة الذكور ـ العدوان للدفاع عن أنفسهم أمام الغير ، أو ليكونوا رجالاً فى المستقبل، فأحيانًا ما يقف الأبوان موقفًا متساهلاً ، إذا اعتدى طفلهم على طفل آخر من الخارج ، وبشىء من الشدة إذا اعتدى على إخوته .

والطفل الذى يعجز تمامًا عن ضبط دوافع العداء، هو الطفل الذى يرى فى المنزل هذا العداء ويزاوله ، فالأم التى لم تتعوّد على وسائل أكثر نضجًا للتعبير عن عدائها ، قد تضرب طفلها حين يهم هو بضربها ، وهى تقول له :(سأعلمك عدم الاعتداء على غيرك)، وهى فى الواقع تعلمه العكس تمامًا، تعلمه أن العنف هو الوسيلة الوحيدة لحل المشكلات ، وقد يكف الطفل عن ضربها ، ولكنه سيثأر من شخص آخر أقل منها قوةً وبأسًا، ويتحوَّل إلى طفل لايمكن بقاؤه بالقرب من طفل آخر أصغر منه سنـًّا.

ويعتقد "باندورا Bandura" أن الآباء الذين يتسمون بالغلظة والقسوة مع أبنائهم يتعلَّم أبناؤهم السلوك العدوانى ، كما توصل إلى أن الآباء الذين كانوا يشجعون أبناءهم على المشاجرات مع الآخرين ، وعلى الانتقام ممَّن يعتدى عليهم، والحصول على مطالبهم بالقوة والعنف ، كانت درجة العدوانيَّة لديهم أكبر من درجة العدوانيَّة عند الآباء الذين لم يكونوا يشجعون أبناءهم على السلوك العدوانى، بأى شكل من الأشكال .

ودلت الدراسات على أن القوة فى عقاب الأطفال على عدوانهم فى المنزل ، من خلال المشاجرات ، ترتبط ارتباطًا موجبًا بمقدار ما يبديه الأطفال من عدوان فى خيالاتهم ، ومعنى هذا أن الأطفال الذين يشتد آباؤهم فى عقابهم ، يزداد عندهم العدوان فى ألعابهم الوهمية بالدُّمى والعرائس وما إليها .

الأم قد تقف موقف القاضي من مشاجرات الأطفال :

بعض الأمهات غالبًا ما يحاولن أن يقفن من مشاجرات أطفالهن موقف القضاة، فقد تسأل إحدى الأمهات طفلها : من البادىء بالشجار ؟ ومن فعل هذا؟ ومن منكم المذنب الحقيقى ؟ ويتسابق كل طفل فى الإجابة ، هذا يتهم ، وذاك يُدافع ، والواقع أن قيام الأم بدور القاضى هو أحد مواطن الخطأ فى علاج هذا الظاهرة؛ لأن الطفل سيدرك بفطرته أن كل مشاجرة ما هى إلاَّ فرصة سانحة ينبغى استثمارها كى يثبت أنه الفائز ، وأن أمه أو أبيه يستحسن تصرفاته ، ويستهجن مسلك أخيه ، فالمحاكمة تنتهى دائمًا باتهام أحد الأبناء وتبرئة الآخر، وهكذا ينقلب المنزل إلى قاعة محكمة، ما بين دفاع واتهام، وبذلك يصبح للشجار هدف أكبر واستهواء أكثر فى نظر الطفل ، وليس مجرد شجار عادى.

متى.. وكيف.. يتدخل الآباء لفض مشاجرات الأطفال؟

تتلخص الإجابة ـ بوجه عام ـ فى أنه كلَّما قل التدخل، حسنت النتيجة، على أنه لا يجب أن نترك الشجار يتجاوز الحدّ، وأن تتخذ خطوات سريعة لمنع الطفل من الاعتداء على أخيه، وهذه تكون جانبًا من جوانب المراقبة اليوميَّة.

وعندما يشتبك طفلان متعادلان فى القوَّة الجسمانيَّة ومتقاربان كذلك فى العمر، فإذا تركناهما يصفّيان المشكلة بينهما عن طريق الجدل أو الشد أو الجذب مثلاً لكان أفضل، حيث غالبًا ما يزدادان دراية بكيفية التعامل، أحدهما مع الآخر، أمَّا إذا كان أحد الطفلين أضعف من الآخر، وأن أخاه سوف يتغلب عليه لقوته أو لشدته، فيزداد شعوره بالخوف والتهيُّب، فلابد من التدخُّل، ولكن للتوجيه، وتصحيح الأمور، وعقد المصالحات الهادئة بينهما دون تحيز لطفلٍ دون الآخر. وعلى الآباء والأمهات أن يصرُّوا على توقف المشاجرات بين الأطفال، وأن يرفضوا الإصغاء إلى شكواهم أو التماساتهم، فإذا أكدوا فعلاً موقفهم، وعملوا بكل حزم على أن يفضُّوا مشاجرات أطفالهم، وكذلك إذا عادوا إلى التدخل مرة أخرى فى حالة استئناف المشاجرة. . . فإن الأطفال سوف يقتنعون

بهذا الأسلوب، ويذعنون للأوامر والسلطة الوالديَّة، مثلما يذعنون لجميع الأوامر والنواهى، التى يبدى فيها الآباء والأمهات إصرارًا ومثابرةً.

كما يتطلب الأمر تدخلاً قويـًّا حيال مشاجرات الأطفال، إذا اتضح أن الطفل كان ضحية للمجموعة التى يلعب أو يلهو معها، والإصلاح فى هذه الحالة هو ألاَّ يحاول اللَّعب مع هذه الجماعة لفترة معينة.

أمَّا فيما يتصل بموضوع الاعتداء والتشاجر.. فيمكن تقسيم الآباء والأمهات إلى فريقين: فريق يجد صعوبة فى إخفاء كبريائه عندما يهاجم الطفل طفلاً آخر، وفريق يسارع بالوقوف فى وجه طفله حتى لا يكون مؤذيًا، ولكن مهما كانت وجهات نظرهم، فإن الغالبية الكبرى منهم لا ترغب أو تحب أن ترى أطفالها مُعتدين، ولا ضحايا مُعْتَدى عليهم.

مشاجرات الأطفال أمر طبيعى.. ولكن !!

مشاجرات الأطفال ـ وخصوصًا ـ الإخوة منهم أمر طبيعى، كما نعتبر المنافسة أمرًا طبيعيًا أيضًا، وإن كان لكل ظاهرة ضوابطها ومعاييرها، ولكن لاضرر، فوجود الطفل الأكبر وسط إخوة أصغر منه يجعله يحاول السيطرة عليهم فيتشاجرون، والأمر الطبيعى فى كل الأسر أن البنين يحاولون السيطرة والتحكم فى أخواتهم الفتيات، ونرى أيضًا أن الطفل المتفوق دراسيًا يعاير أخاه أو صديقه المتأخر دراسيًا فيدُب الشجار بينهما، هذا بالإضافة إلى المباهاة والزهو إمَّا بلون الشَّعْر أو شكل الجسم أو الوسامة إلى غير ذلك، وقد نرى أن أحد الإخوة قد يتحدى أخاه؛ لكونه مقربًا إلى والديه إمَّا لاتقاد ذكائه أو لعذوبته فى الحديث، أو لإمكاناته الفنية أو الرياضية الفذة، فتنشب بالتالى المشاجرات.

وعلى الآباء والأمهات أن يدركوا جيدًا أنه قلَّما يجتمع أطفال فى مكان واحد، سواء أكانوا إخوة أم أصدقاء أم رفاقًا إلاَّ وتشاجروا، ثم لا يلبث أن يعقب كل ذلك تراضٍ وعودة حميدة إلى سابق عهدهم، من الألفة والانسجام واللَّعب بعضهم مع بعض، وكأن شيئًا لم يحدث والآباء يضِجُّون بمشاجرات

الأطفال، يصرخون ويثورون، وقد يُعَنِّفونهم ويدمغونهم بأحط الصفات، حاسبين أن شجار الأطفال أمرٌ غير طبيعى، وأنه وقت مناسب لتصفية الحسابات.

وعمومًا. . فإن أسلوب المشاجرات هذا يقل كلَّما تقدم الطفل فى العمر، أمَّا إذا استمر ودام كأسلوبٍ فى التعامل فإنه فى الواقع يكون انحرافًا سلوكيًا، يستدعى من الوالدين اليقظة والصحوةَ، والدراسة المتأنية للأسباب والدوافع، ومن ثمَّ الوصول إلى العلاج المناسب، وننصح بأن يكون هذا الأمر على أيدى بعض المتخصصين فى مجال التحليل النفسى.

قد يكون لمشاجرات الأطفال بعض الفوائد !!

الذى قد لا يعرفه البعض أن لمشاجرات الأطفال فوائد، فالشجار هو إحدى الوسائل لإثبات الذات وتأكيدها، وهى من الصفات المهمة اللاَّزمة لنجاح الإنسان فى الحياة، كما أن الشجار فرصة للطفل؛ لكى يتعلَّم بعض الخبرات التى تصقل مواجهته للحياة، ومنها: احترام حقوق الغير، واتباع قيم الحق والعدل، وإدراك معنى الصدق والكذب، واستيعاب أهمية الأخذ والعطاء، والمحافظة على حقوقه وعدم التفريط فيها، إذا كان يحافظ هو الآخر على حقوق الآخرين؛ لذلك يتحتم على الآباء والمربين انتهاز هذه المواقف لتوجيه الأطفال التوجيه التربوى السليم، واعين على الدوام أن مواقف المشاجرات التى تنشب بين الأطفال، دليل على عدم نضجهم الاجتماعى والوجدانى.

حتي لا يصبح الشجار انحرافًا سلوكياً :

* نؤكد دائمًا أن لكل مشكلة علاجًا، ولكن يجدر بنا دائمًا أن نضع نصب أعيننا أن الوقاية خير من العلاج، لاسيما فى المجال النفسى، الذى يحتاج إلى وقت طويل للوصول إلى علاج ناجع، كما لا يفوتنا عواقب تلك النكسات، التي قد يتعرض لها المريض النفسى بعد قطع شوطٍ طويل من خطوات العلاج، وحتى بعد الشفاء. لذلك ينبغى مساعدة الطفل فى تحقيق رغباته الضرورية، وتهيئة المُناخ المناسب لكى يُنفس عن مشاعره المكبوتة بمنجزاتٍ ابتكارية مفيدة

ومثمرة، وذلك بتحويل طاقاته الهائلة المختزنةً، ونشاطه المفرطِ، إلى هوايات وأنشطة نافعة كالرسم والموسيقى، أو بقراءة القصص الشيقة، أو بحلّ الألغاز المثيرة، أو بالاشتراك فى نوادى العلوم، أو بتشجيعه على ممارسة الرياضات البدنية التى تتفق مع استعداداته.

هذا... وقد أثبت عديد من الدراسات أن الطفل الذى يميل إلى التشاجر، إنما هو طفلٌ يُعَذِّبه الشعور بالكبت أو القمع، ويؤرقه الإحساس بالإحباط والفشل، ومثل هذه الأنشطة المقترحة تجعله يُنَفِّس عن مكبوتاته وإحباطاته بشكلٍ سوى، لأنه يشعر فى قرارة نفسه أن هناك شيئًا يفعله ويأمل فى إنجازه.

* لا يجوز - بحالٍ من الأحوال - العبث بممتلكات الطفل الشخصيَّة أو لُعبه أو أدواته، وألاَّ نسمحَ لإخواته بذلك تحت أى مُبرِّر، كما لا يجوز أن نحرمه منها لأننا فى حالة هياج وغضب تجاهه، فى الوقت الذى لا ينبغى أن نظهر أمامه بالضعف أو العجز عن اتخاذ القرارات نحوه، ولعلّ السياسة الثابتة مع الأطفال التى تتسم بالحزم والمرونة معًا تمنعهم من التمادى أو الإتيان بسلوك التشاجر.

* الجو الأسرى الذى يسوده الوئام والتسامح والتعاون، يساعد على خلق جيل من الأطفال يتسم بالاتزان الانفعالى والاستقرار النفسى، وبالتالى القضاء على مظاهر العدوانيَّة والمشاجرات فى مهدها، فيتعلمون من خلال المعاملة الوالديَّة الهادئة والمتأنية، أساليب الإيثار وإنكار الذات وتقدير قيم الولاء والانتماء، فينمُون نمواً طبيعيًا سويًا. ولابد أن ننوه فى هذا الشأن أن مشاجرات الآباء والأمهات الدائمة، وثورتهم العارمة لأتفه الأسباب، تنعكس على أطفالهم بالعدوانيَّة المفرطة التى تؤهلهم إلى المشاجرات والمشاحنات، وبالتالى فقد تنال من سكينتهم وأمنهم واطمئنانهم، وهى الأمور التى نُحذِّر منها، وعلى ذلك فليراجع الآباء والأمهات أنفسهم ما أمكن، وليقفوا على مواطن الضعف والقصور والإخفاق، ليصلحونها ويُقوِّمُونَها؛ لأن فى ذلك وقاية لأطفالنا من داء التشاجر أو التناحر.



الفصل السادس

التخريب



التخريب

من النادر أن نجد طفلاً مخربًا عن قصد أو عن عبث، مع أن الأطفال أثناء نموهم، كثيراً ما يعمدون إلى إيقاع التلف، لا بما يملكون فحسب، بل بكل ما يصلون إليه من أشياء، وهو تلف يبدو لا مبرر له، غير أن النتائج السيئة لأفعال الأطفال ليست سوى أمور عارضة، تقع أثناء محاولة الطفل تحقيق هدفه، والعمل على تحقيق الفكرة التى نشأت فى رأسه الصغير.

المظاهر والأسباب:

المعروف أن النشاط والحركة أمران لازمان للأطفال؛ إذ يتعلَّم الطفل السوى بتقليد مَنْ حوله، وفحص الأشياء تحقيقًا لإشباع حبه للمعرفة والاستطلاع.

والطفل فى سنيه الأولى لايدرك قيمة الأشياء، ومع هذا فما أكبر الثورة التى تصدر عن الكبار، إذا أوقع الصغير شيئًا تعتز به الأسرة.

ونشاط الطفل ـ على قلة تناسقه وشدة غموضه فى بعض الأحايين ـ لا يخلو من هدف معين لأن وراءه خطة تحركه، وأمامه غرضًا يرمى إليه، فإذا لجأ إلى الجذب أو الكسر أو التمزيق أو القطع، فإنه قلَّما يفعل ذلك عن سوء نيَّة، بل إنَّ ذلك يصدر عنه قصدًا فى بعض الأحايين، وعفواً فى بعضها الآخر؛ فهو يجذب غطاء المائدة كى يستعين به على النهوض، وهو يقطع جوربه؛ حتى يظهر قدرته على استعمال المقص المعدنى المُدْهِش. ولا يبدو له أن ما وصل إليه من نتائج جديدة يلحق ضرراً يغضب الآخرين، فيتملَّكهُ العجب والحزن إذا وجد والديه

لايرضيان عن أفعاله، ويأسى لما ينزل به من لومٍ وتقريع. وإذا كنا نبغى حقًّا حماية الطفل من اندفاعه إلى التخريب، يجب أن نفحص كل الظروف التى أدت به إلى ذلك، وأن ندركها تمام الإدراك.

ويمكن تفادى ميل الصغار إلى التدمير والتخريب؛ إذ خصَّص الآباء لأطفالهم غرفة أو مكانًا ليلعبوا فيه كيفما شاءوا.

ولأن جوّ المنزل يعج أحيانًا بالمغريات التى تجذب الطفل، فهو لايستطيع أن يقاوم ما يجذبه إلى التناول والفحص، وسرعان ما يؤدى إلحاح الآباء على الطفل بالكفِّ عن نشاطه إلى إدمان التوبيخ، الذى يتأتى عنه غضب الآباء والعصيان الصريح عند الطفل، ومع ذلك فإنه يمكن أن نتجنب كثيرًا من هذا الاحتكاك، لو أمكن أن يكون للطفل حجرة ألعابه الخاصة أو ركن يستطيع أن يلهو فيه بعيدًا عن تدخل الآخرين.

وقد يرجع التخريب والتحطيم إلى الغيرة أو الغضب أو إلى صراع عقلى مبهم عميق، أو إلى موقف جديد فى البيئة، أو إلى تعرض الطفل لمواقف الإحباط والإعاقة وعدمِ الشعور بالراحة والأمان؛ لهذا يجب أن نرى هذه المواقف الانفعاليَّة بتبصُّر ووعى، وأن نعنى بعلاجها قدر استطاعتنا؛ أى يجب أنْ نبذل كل جهدٍ للوقوف على الأسباب والقضاء عليها.

وقد يكون التخريب ناتجًا عن عدم تعليم الأطفال المحافظة على الأثاث والمقتنيات، وكيفية الاستخدام الصحيح للأشياء.

اتجاه القسوة وتدعيم السلوك التخريبي :

يتمثل اتجاه القسوة (ATTITUDE OF CRUELTY) فى استخدام أساليب العقاب البدني أو التهديد به؛ أى كل ما يؤدى إلى إثارة الألم الجسمى كأسلوب فى عمليَّة تنشئة الطفل وتربيته. ويتضح هذا الأسلوب عادة فى الأُسَر التى تفهم معنى الرجولة على أنها الخشونة والتجهم وعدم التبسط مع الصغار، وتُفهم أيضًا على أنها الأوامر والنواهى والعقاب، فالطفل إذا نجح فى المدرسة، وحصل على

درجات لا يرضى عنها الأب، يُضرب ويُعاقب لعدم حصوله على الدرجات النهائية، دون مراعاة الأب لقدرات طفله وإمكاناته الذهنيَّة، وإذا أرسلته الأم ليبتاعَ لها حاجياتها وأخفق فى شراء ماتبغى، تُصر على عقابه البدنى بقسوةٍ وعنف.

ويترتب على هذا الاتجاه شخصيَّة متمردة، تنزع إلى الخروج على قواعد السلوك المتعارف عليها كوسيلة للتنفيس والتعويض عمَّا تعرض له من قسوة فى صغره. وعلى هذا.. فإن هذه الشخصيَّة ينتجُ عنها السلوك العدوانى المُقترن بالتخريب، فنراه يتلف حاجيات رفاقه أو ممتلكات مدرسته، دون أى إحساس بالذنب أو التأنيب. فمثل هذا الفرد لم يشعر بانتمائه لأسرته، ولا حبهم له، ولابثقته فيهم، وبالتالى يُنفِّس عن كل هذه الأحاسيس بالتخريب فى كل ما لا يمتلكه ولا يحس به.

الحاجة إلي البحث وحب الاستطلاع :

ينمو حب الاستطلاع عند الطفل منذ الشهر السابع تقريبًا، ويزداد مع تقدمه فى العُمْر، ويبدو ذلك فى محاولات الطفل لاختبار كل ما يقع تحت يديه، فكثيراً ما نلاحظ الطفل يحاول أن يقبض على الأشياء بيديه ليفحصها، والواقع أن الطفل يحاول بهذا السلوك أن يتعرف على كل شيء جديد فى بيئته، ويحاول أن يختبره، كما أن لعب الطفل المبكر وتناوله لكل ما حوله، وما يقع تحت بصره ويديه، وبحثه وتنقيبه هنا وهناك فيما تحت يديه أو حوله ليس إلاَّ إشباعا لحاجته إلى المعرفة والبحث والاستطلاع، ويرى «مكدوجال» Mcdougall: إن الذى يجعل الطفل يعبث فيما حوله من أشياء هو حب الاستطلاع.

ويجب أن ندرك أن كثيراً من أنواع النشاط التى يعتبرها الكبار نشاطًا هدامًا، إنما هى عند الطفل بناء وتعمير، فهى تمثل جهدًا يبذله للوقوف على القوانين الطبيعيّة التى تقوم عليها الأشياء التى تعرض له. والأرجح أن الصغير الذى لايُثير استطلاعه رنين الجرس الكهربائى، أو الأجهزة الآلية التى يقع عليها بصره، الأغلب أن يكون مثل هذا الصغير مستغلق الذهن.

وكثيراً ما يجد الصغار سعيًا وراء الوقوف على تركيب بعض اللُّعب أن من اللازم تفكيكها. وينبغى بالطبع أن نمنع الأطفال من التخريب فى الأشياء الثمينة التى يسهل إتلافها، دون أن يكون للطفل فى ذلك من المتعة أكثر ممًّا فى لُعبة زهيدة الثمن. ويمكن أن تنصرف ميول الأطفال إلى التحطيم نحو أمور لا يضيق بها الآباء، لو تمكنوا من انتقاء اللُّعب المناسبة لهم. ومن الأجدر أن نذكر أن اللُّعب التى يمكن إعادة تنظيمها على عدة وجوه (مثل القوالب والمكعبات التى تبنى ثم تهدم) هى لُعب مهمة عظيمة النفع، كمنصرف تسير فيه ميول الطفل إلى التشييد والبناء.

ويجب أن نفرق بين ميول الهدم التى تُعْرَض خلال عمل الطفل على إشباع ميله إلى الاستطلاع، وبين ميول الهدم التى تبدو أحيانًا، دون أن يبتغى منها الطفل غرضًا معينًا، بل تصدر عن عدم المبالاة والاستخفاف بقيمة الأشياء، ويغلب أن تظهر هذه الميول فى الطفل، إذا أُغدقت عليه اللُّعب ووسائل التسلية أكثر من القدر المعقول.

الوقاية والعلاج :

* لابد أن نجنب أطفالنا مواقف الإحباط والإعاقة، وأن نمنحهم قدر استطاعتنا مشاعر الحبِّ والحنوِّ والأمن، وأن نجنبهم كذلك مغبة التنشئة الاجتماعيَّة، التى تعتمد على الطاعة العمياء، وحبّ النظام الصارم خشية أن يشبوا، وقد تصدع بداخلهم صرح التجديد والابتكار والإبداع، كذلك لابد من تدريبهم منذ نعومة أظفارهم على إمكانيَّة المحافظة على الأثاث والمقتنيات، وكيفيَّة الاستخدام الأمثل للأشياء، مع احترام ملكية الآخرين، وذلك بتقوية جهاز «الأنا» (EGO) لديهم.

* كما هو معروف أن اللَّعب تستحثه بواعث حب الاستطلاع والتجريب، وهو يكشف عن فرديَّة الطفل ومالديه من قوى وإمكانات وقدرات. والملاحظ أن الأطفال لا يكفون عن اللَّعب لفترةٍ طويلة، على الرغم من التعب والإعياء، وبذلك يتضح أن الدافع للعب ليس ما يشعر به الطفل من نشاط زائد فحسب،

بل إن نشاط اللَّعب هو غاية فى حد ذاته، أى إن الطفل يُمتع نفسه باللَّعب فيحقق بالتالى اللّذة والارتياح. وعلى ذلك فاللّعب وسيلة مهمة من الوسائل، التى تقى الأطفال مغبة السلوك التخريبى. ونود أن نشير إلى أن بعض الآباء يُغْرِقُون أبناءهم باللُّعب الآلية المعقدة التركيب، التي لا تؤدى غرضًا نافعًا، وهم بذلك لا يشبعون حبّ استطلاعهم ولا يشجِّعونهم على الملاحظة والمعرفة والابتكار، فكثيرًا ما يقوم أحد الوالدين بما يلزم لدفع تلك اللُّعب إلى الحركة، بينما يجلس الطفل الصغير كسولاً يشاهد ولا يشارك فيها، يتنقل من لُعبةٍ إلى أخرى فى مللٍ وضيق وتبرُّم.

وفى انتقاء اللُّعب، ينبغى أن يزود الصغار بلُعب بسيطة متقنة الصنع، يمكن تفكيكها وتركيبها، دون أن يلحقها التلف. كما يجب توفير المكان، الذى يستطيع أن يقوم فيه الطفل بعملياته وألعابه، دون أن يتابعه الكبار كفًّا أو توجيهًا.

* ضرورة توفير مثيرات متنوعة واسعة للطفل؛ حتى نتيح له إمكانيات التعجب والتساؤل والتجريب والتفكير والبحث والملاحظة، من خلال توجيه أنشطة الطفل إلى المواد والأدوات التى يستخدمها فى بيئته، مثل: اللُّعب والكتب والخرائط وغيرها. كما أن المجتمع يستطيع بمختلف مؤسساته أن يكون مجالاً للمثيرات والخبرات اللازمة لنمو الطفل، وإشباع حاجاته إلى البحث وحبّ الاستطلاع.

* إن توجه نزعة الطفل وحاجاته إلى البحث وحب الاستطلاع وإكسابه ثقافة مجتمعه، وتنمية خبراته السويَّة المناهضة للأساليب التخريبية، بتوسيع نطاق البيئة التى يعيش فيها؛ فاصطحاب الطفل فى نزهات وجولات ورحلات تجعله ينطلق فى حرِّية وتزداد حصيلته بالخبرات والمفاهيم الصحيحة. وتكون هذه النزهات والرحلات أداة لتعويد الطفل العادات الاجتماعيَّة والسلوكيَّة السليمة، كعدم إتلاف المزروعات أو الاعتداء على الأزهار، وبذلك يكتسب قيمة احترام الملكية العامة.

* كذلك وفى إطار الاهتمام بتعديل السلوك التخريبى للطفل وتقويمة، ينبغى أن نهتم بتنمية هواياته: كهواية جمع الطوابع، والعملات التذكارية المختلفة من أقطار متعددة، كذلك جمع الصور النادرة، وجمع الفراشات، كما يمكن تنمية هوايات أخرى للطفل: كالتصوير، والرسم، والزخرفة، والعزف، وبذلك ننمى حبّ الجمال والتذوق الفنى لديه، وفى الوقت نفسه نشبع حاجته إلى البحث والمعرفة وحبّ الاستطلاع؛ فنحافظ ونصون شخصيَّته المتنامية من مغبة السلوك التخريبى.

الفصل السابع

الهروب والجولان



الهروب والجولان

تعددت شكاية الآباء من بعض الأطفال، الذين باءت كافة الجهود المبذولة، فى ردعهم أو منعهم من الهروب من المنزل بغية الجولان والتنقل، بالفشل، إلاَّ إذا تم إغلاق كافة الأبواب والمنافذ فى وجوههم؛ للحيلولة دون جولانهم، ومراقبتهم مراقبة صارمة مستمرة.

وهؤلاء الأطفال عادة كانوا يشرعون فى جولانهم وترحالهم منذ الصباح الباكر، إمَّا سيراً على الأقدام، أو تعلقًا ببعض المركبات، حتى يصلوا إلى بعض الأماكن التى اعتادوا ارتيادها والتردد عليها، حتى إذا ما فقدوا كل أمل فى العودة إلى منازلهم، لجأوا بطبيعة الحال إلى أحد رجال الشرطة مؤكدين له، أنهم ضلوا الطريق، وأنهم يطلبون إعادتهم إلى ذويهم، وغالبًا ما كان يتم ذلك دون مشكلات.

والغريب فى الأمر أن الآباء كانوا يعاقبونهم عقابًا صارمًا وقاسيًا، دون أن يترك هذا العقاب أى أثر فى نفوسهم، أو يردعهم عن الإتيان بمثل هذا السلوك مستقبلاً، بل كانت تصل الأمور إلى حد أن الأطفال كانوا يظهرون، وكأنهم قد اعتادوا مثل هذا العقاب؛ ليصير فى النهاية أمراً مفروغًا منه، وأنه ليس إلاَّ قسطًا من الثمن، الذى ينبغى تسديده فى سبيل هروبهم وجولانهم.

العوامل التى تؤدى إلى هروب الطفل وجولانه :

* العوامل الذاتية :

قد يجد هؤلاء الأطفال - الذين يستهويهم الهروب والجولان - مُتْعَةً فى ذلك، حيث يستثيرهم حبُّ المغامرة والإقدام على كشف العوالم الجديدة، بعيدًا عن تلك الحدود التى رُسِمَتْ لهم، فقيَّدت من حُرِّيتهم وشغفهم برؤية المناظر الآخَّاذة، والتعامل مع الوجوه والشخصيّات الجديدة، واكتسابهم الخبرات المثيرة. وهم فى سبيل ذلك لا يحفلون بأبعاد الزَّمن، ولا يعبأون بقيود الأماكن، أو اتّساع المسافات؛ لأن نشوة المُغامرة تغمرُ كيانهم المتنامى.

وقد يكون الهروب راجعًا لعوامل الإصابة بالعاهات أو الإصابات، التى تُعجز الطفل عن مُسايرة زملائه الأسوياء فى الفصل الدراسى، أو بجعله مَوضعًا لسخريَّتهم ممَّا يجعل المدرسة تُمثلُ خبرة غيرة سارَّة لهُ؛ فتدفعه هذه العوامل إلى البحث عن وسائل تُرضى ذاته خارج المجال المدرسى.

وقد يكون الطفل سليمًا من الوجهة الجسميَّة، إلاَّ أنه مزوَّدٌ بقدرات عقليَّة محدودةٍ، لا تُمكِّنهُ من أن يُتابع دراستهُ بالكفاية نفسها، التي لغيره من زملائه، وعلى هذا يكره المدرسة فيلجأ إلى الهروب والجولان.

* العوامل النفسية :

فى عيادات التحليل النفسى، وُجد أن بعض الأطفال ممَّن كانوا يهربون ويتجوَّلون، قد جزموا أنهم فى ترحالهم كانوا يهربون من الطرقات الضيِّقة المُزدحمة التى يعيشون فيها، إلى أخرى أرحب وأجمل. كما أن البعض الآخر أكدوا أنهم سَعِدوا كثيرًا بصحبة بعض الأفراد والأشخاص، الذين كانوا يعاملونهم بحنوٍ ورفق، على النقيض من المعاملة الفاترة القاسية التى كانوا يلاقونها داخل نطاق أُسرهم. وعلى ذلك يتَّضح أن هروب تلك الفئة لم يكن بسبب تواضع الأمكنة التى يعيشون فيها، بل تحقيقًا لإشباعات أكثر إلحاحًا تتمثَّل فى الاشباعات النفسيَّة والوجدانيَّة، فانعدام الشعور بالأمن والاطمئنان،

وافتقادهم إلى الحبّ والمودَّة وتحقيق الذات من الأمور التى تجعل هؤلاء الأطفال بائسين وحزانى، يحسُّون بالخشية والخوف على حياتهم النفسيَّة والوجدانيَّة، فيبحثون عمَّن يعوِّضهم ذلك فى بيئات أخرى ومع أُناس مغايرين. ليس هذا فحسب؛ فالقسوة والتربيَّة الصارمة والتنشئة المتشدِّدة تؤثر التأثير السيئ نفسه، فتؤدى إلى خلق ضمير أرعن، وتولِّد الكراهيَّة للسلطة ولكلِّ من يمثلها، وتجعل الطفل يقف من المجتمع موقفًا عدائيًّا ، أو يستسلم لتملُّق الكبار أو الخضوع لهم، كما تُميت فى نفسه الثقة بالنفس، وتقتل روح المبادأة، وتجعله يتحاشى القيام بأى عمل يُدافع به عن نفسه.

وليس التراخى فى معاملة الأطفال بأقل ضررًا على الصحة النفسيَّة من القسوة؛ فقد ثبت أن الطفل الذى ينشأ فى تراخٍ وتهاونٍ، تظهر عليه الاضطرابات الشخصيَّة، والسلوك اللاَّسوىّ، وهو ما يظهر أيضًا على الطفل الذى نشأ على القسوة والتزمُّت فى المعاملة.

كما أن الإكثار من التخويف له آثاره النفسيَّة الخطيرة، وقد ينعكس المكبوت فى سنٍ مبكرةٍ على حياة الطفل عندما يكبر، فيخشى الناس، ويصبح دائمًا على قلقٍ واضطرابٍ، فيجنح إلى الهرب بمعزلٍ عن الناس.

*** العوامل الأسرية :**

يؤثِّرُ كُلّ من الأبوين تجاه الآخر، على صحَّة الطفل النفسيَّة، وقد أثبتت الدراسات أنَّ معظم الأطفال الَّذين يلجأون إلى الهروب والجولان، يأتون من منازل تكثرُ فيها الاحتكاكات الزوجيَّة أكثر ممَّن يأتون من منازلِ فيها العلاقات الأُسريَّة سويَّة وسليمة، ومن دواعى تفكُّك الرَّوابط الأُسريَّة مشاجرات الوالدين، التي قد تكون إحدى أسبابها سوء الحالة الاقتصاديَّة، أو عجز أحد الوالدين أو كليهما نفسيًّا على نحو لا يجعلهما قادرين على مقابلة تبعات تربيَّة الأبناء وتنشئتهم، وهذا كلّه يجعل جو المنزل جواً ثقيلاً لا يُطاق، فيهرب منه الطفل إلى الطرقات ليجول، ويبدأ سلسلة من الانحرافات غير المرغوب فيها.

كما أنَّ الطفل الَّذى ينتظر فى هلعٍ وفزعٍ ماسوف يحل به من عقابٍ نظير خطأ قد أرتكبه، وكثيرًا ما يكون هذا عاملاً مهمًّـا يدفع الكثير من الأطفال إلى الهروب، لأنه كلَّما كان العقاب قاسيًا وباطشًا وشديدًا، كان الدافع إلى الهروب والجولان قويًا وملحًّـا؛ هربًا من العقاب الذى ينتظره.

وإذا كان الطفل كثير الإخفاق أو الفشل فى حياته المدرسيَّة، فقد يعود ذلك إلى أن المنزل الذى يعيش فيه الطفل غير مهيئًا بطريقةٍ تسمح للطفل باستذكار دروسه وأداء واجباته المدرسيَّة على نحوٍ مُرضٍ، حتَّى إذا جاء موعد ذهابه إلى المدرسة - دون أن يتمَّ ما عليه من واجبات، أو لمْ يحفظ ما عُهـد إليـه من دروس - فضَّل الطفل الهرب على مواجهة مُعلِّميه بهذه الصورة المترديَّة، وما قد يستتبع ذلك من عقاب. وقد يكون الجو الأسرى بصفةٍ عامةٍ غير مشجع على التزوّد بالمعرفة وحبّ العِلم والتعليم، أو قد يُعهد إلى الطِّفل ببعض الأعمال التى تشغلهُ عن تحصيل دروسه، كمًّا فى حال الأم التى تشغل ابنتها ببعض الأعمال المنزليَّة، أو الأب الذى يضطر بسبب سوء الأحوال الاقتصاديَّة أن يُكلِّف طفله بالقيام ببعض الأعمال خارج المنزل، حتى يعاونه فى الوفاء باحتياجات الأُسرة.

كما أنَّ لصحبة السوء من الأصدقاء، الَّذين يعملون على إغراء الطفل بالوسائل المختلفة كمشاهدة العروض السينمائيَّة، أو التنزه فى الحدائق، أو الجولان فى الطرقات، تأثيرًا كبيرًا فى إدمان الطفل على الهروب، وبطبيعة الحال فإنَّ كُلَّ هذا يتمُّ فى أثناء النَّهار وعلى حساب اليوم الدراسى. وممَّا يساعد على الانسياق وراء صحبة السوء هذه، عدم وجود قدرٍ كافٍ من الرقابة والضبط من جانب الوالدين، وكذا عدم إتاحتهما الفرص الملائمة المشروعة لأبنائهما للاستمتاع بمثل هذه الألوان من النشاط فى الأوقات المناسبة، وتحت إشرافهما.

ويتعيَّن على الآباء ادراك أنَّ الأطفال فى العادة يتكيَّفون بسرعةٍ فائقةٍ مع معايير الأسرة، ولكننا نجدُ أحيانًا من الأطفال ما يشذ عن هذا الوضع، فهؤلاء يبدون من الآراء والاهتمامات ما يختلف تمام الاختلاف عن الآراء السائدة فى

محيط الأسرة، ويمكننا أن نتأكّد من أنَّ أىَّ طفل يُبدى من الأفكار والاهتمامات والميول ما يشذ بشكلٍ واضح عن تلك التى تسود بيئتة المنزليَّة، إنَّما تؤدى به غالبًا إلى أن يصبح فى مستقبل حياته شخصًا شاذًّا سيئ التكيف مع بيئته.

* **العوامل المدرسية :**

يتضح فى معظم حالات الهرب التى تم الكشف عنها وتحليلها، أن من أهمّ العوامل التى كانت تؤدى بالأطفال إلى الجولان والتنقل، أنّهم كانوا يفتقدون فى بيئاتهم المدرسيَّة ما يشبع ميولهم ويحقّق رغباتهم، وكان لقدرة هؤلاء الأطفال على كسب أصدقاء جُدد من الكبار أو الصغار، والبهجة التى كانت تعود عليهم من هذه المخالطات، من الأمور التى كانت تشجعهم على تكرار محاولاتهم فى دأبٍ ومثابرة.

كذلك يترتب عن عدم توافر الأنشطة الاجتماعيَّة والرياضيَّة بالمدرسة أن يذهب الطفل إلى المدرسة ليتلقى من مُعلِّميه ما يعطوه من معلومات فقط، كما يجلس بجانب تلاميذ لا تربطه بهم أية علاقة، والمُعلِّم أيضًا لا تربطه بتلاميذه أى علاقة أكثر من علاقة التلقين. كل هذا يجعل المدرسة تفقد عاملاً مهمًّا فى بناء التلميذ على نحوٍ متكاملٍ، وبالأخص فى خلق جو اجتماعى، يشترك فيه التلميذ ويتفاعل معه وينتمى إليه، ومثل هذا الجو من شأنه أن يقتل الحياة الاجتماعيَّة، بل قد يخلق أجواء اجتماعيَّة غير صالحة، لهذا نرى بعض التلاميذ يفصحون عمَّا عندهم من نشاطٍ دفينٍ بطرق غير موجهة فى التدخين أو التخريب أو تكوين العصابات الصغيرة، إلى غير ذلك من الاضطرابات السلوكيَّة المختلفة عن طريق وسائل كالهرب والجولان، والتى تستدعى فى النهايَّة ضرورة الإسراع فى علاجها؛ لذلك ينبغى توفير الأنشطة المدرسيَّة المختلفة للتلاميذ للمساعدة على النمو الاجتماعى المتكيف، ولإشباع حاجاتهم النفسيَّة بالكامل، وتكوين علاقات سويَّة خارج دائرة الأُسرة، والتي تُعينهم على إتاحة الفرصة لتلبية حاجة الطفل والقبول، والتعبير عن الذات، وتنمية المهارات الحركيَّة والاجتماعيَّة.

وقد يلجأ الأطفال إلى الهروب والجولان فى بعض الأحايين كمهرب من بعض المواقف الصعبة، التى تسبب لهم الإحباط؛ فالطفل إذا فشل فى المدرسة، وعانى من جراء هذا الفشل، مهانةً أو معايرةً أوازدراءً، فقد يفعل أى شىء ليتجنب الذهاب إلى المدرسة، لأن قدراته وإمكاناته الذهنيَّة قد لا تسعفه، حين يُطلب منه استرجاع بعض الحقائق أو المعلومات، أو استظهار ما يُطلب منه استظهاره، كما أن اضطراره للوقوف فى الفصل الدراسى لمراجعة بعض النصوص أو الدروس، وإخفاقه الذى يُحتم تدخل المُعلِّم تدخلاً مباشرًا بتوجيه اللَّوم أو التأنيب له، وسط ضجيج التلاميذ بالضحك والسخرية، أمرٌ - بلا شك - فيه إيلام للطفل، أكثر بكثير من أى عقاب بدنى صارم يُتخذ ضده، فيحاول الهرب من تلك المواقف المُحبطة. كذلك فإن سوء معاملة المُعلِّم للتلاميذ واستخدام الضرب والقسوة كوسيلةٍ للعقاب يُدعم الاتجاه نحو كراهية التلاميذ للمدرسة - بشكل عام - وللمُعلِّم - بشكلٍ خاص - وبالتالى هروبهم منها؛ الأمر الذى يؤدِّى إلى ظهور أعراض الاضطراب النفسى بصورٍ متعددة؛ ولذلك ينبغى أن يُعد المُعلِّم بحيث يستطيع النهوض بدوره التربوى على خير وجه، لأن المُعلِّم يترك فى نفوس التلاميذ الصغار أثرًا قويًّا، فهو بوسعه القيام بأدوارٍ متعددة، فيمكنه أن يقوم بدور الأب والمشرف والصديق والموجِّه والمُعالج.

وممَّا لا شك فيه فإنَّ المنهج المدرسى المرن المتوازن يدفع الطفل إلى التعلُّم والتعليم بآثاره الايجابيَّة، وتذوق المادة الدراسيَّة عن طريق التكشف، وقد ثبت أنَّ عددًا كبيرًا من حالات التأخر فى التحصيل الدراسى، وما يصحبه من فشلٍ أو شقاءٍ أو عزوفٍ عن المعرفة، وانسحابٍ من الحياة المدرسيَّة عمومًا إلى الهرب والجولان، كانَ مبعثهما منهجًا دراسيًّا ترك فى نفس الطفل الشعور بالصدِّ والكراهية والعجز.

كما لا يفوتنا - ونحن نتحدَّث عن الأسباب التى تؤدِّى إلى مشكلة هروب الطفل وجولانه - أن نُنوِّه بأنَّ الواجبات المدرسيَّة أصبحت عبئًا ثقيلاً على الأطفال؛ لأن المدارس صارت تعتمد اعتمادًا كبيرًا على المنزل فى أداء تلك

الواجبات، التى قد يُغالى الآباء فى إعطائها للأطفال بدرجة قد تفوق إمكاناتهم وقدراتهم. وما ينتج عن ذلك من الإضرار بصحة الطفلِ النفسيَّة، وتعرُّضه كذلك للاضطرابات العنيفة بسبب الخوف من الفشل أو الإخفاق، ومن ثمَّ التعرض للتوبيخ أو العقاب.

وإذا كان وراء هروب الطفل وجولانه، دلالات سلوكيَّة، فلا بد أن نعرف أن شخصيَّة الطفل تتكوَّن، ويتحدَّد سلوكه العام قبل التحاقه بالمدرسة. وكثيراً ما يستطيع المُعلِّم أن يصف سلوك أحد الأطفال، وأن يؤكِّد بأنَّ هذا السلوك سوف يتكرَّر فى المُستقبل، ولكن لابد للمُعلِّم لكى يفهم هذا السلوك من أن يبحث عن أسبابه، وكيفية نشأته. وهناك يأتى دور الآباء الذين يستطيعون أن يدلوا ببياناتٍ ومعلوماتٍ على جانبٍ كبيرٍ من الأهميَّة، بحيث تُساعد على كشف الأسباب وراء سلوك أطفالهم.

ومن أهم النواحى التى يمكن للأب أن يلقى الضوء عليها ما يأتى:

* معلومات تتصل بنظام الطفل اليومى.
* معلومات تتصل بأعضاء الأسرة الآخرين كالإخوة والأخوات.
* معلومات تتصل بسمات الطفل، وخصائص سلوكه المُميزة، التى لازمته منذ سنوات طفولته الأولى.
* معلومات تتصل بأصدقاء الطفل، وبأوجه نشاطه خارج المدرسة.
* معلومات تتصل بزملاء الطفل، الذين يلقاهم خارج المدرسة.

وبالحصول على هذه المعلومات أو على معلومات مُماثلة، يصبح كلٌّ من الأب أو المُعلِّم فى وضع يمكنه من أن يختار من بين أنماط سلوك الطفل، سواء فى المنزل أو فى المدرسة، ما يساعد كل منهم على توجيه الطفل التوجيه السليم.

وينبغى أن يؤدى كل لقاء بين الأب والمعلِّم إلى تعميق فهمهم المشترك لجانب أو أكثر من جوانب سلوك الطفل، وينبغى أن يمعن كل من المُعلِّم والأب التفكير

فى الجانب المهم من سلوك الطفل، الذى يكشف أكثر من غيره عن الصعوبات الأساسيَّة التى يواجهها، والمشكلات المُلحة التى يعانى منها.

*** العوامل البيئية :**

يُدرك الأطفال أهميَّة تكيُّفهم لظروف البيئة، وما لهذا التكيُّف من أثرٍ بالغٍ على شخصيَّاتهم المتنامية. وقد يغلبُ على أسلوب تكيُّفهم للبيئة المُحيطة بهم، وما تفرضه عليهم من مطالب، واحد من أنماط التكيُّف الرئيسيَّة الثلاثة التالية :

*** التقبل التام لمتطلَّبات البيئة :**

قد يتقبَّل الأطفال الأنماط السائدة فى البيئة تقبُّلاً تامًا، ويحاولون حثَّ غيرهم من الأطفال على اتباع الأسلوب نفسه، ويؤدى تقبلُّهم الكامل لهذه المعايير الاجتماعيَّة إلى أن تصبح جزءًا من تكوينهم النفسى، وبالتالى جزءًا متكاملاً من نمو سلوكهم.

*** التردد فى تقبل متطلبات البيئة :**

وقد يتردَّد بعض الأطفال فى تقبُّل معايير السلوك السائدة بين الجماعات، التى ينتمون إليها خارج المدرسة، ولكنهم فى الوقت ذاته يحسون برغبةٍ طبيعيَّة فى المشاركة فى أوجه النشاط التى تقوم بها هذه الجماعة، وقد تتغلب رغبة الأطفال فى تقبُّل الجماعة، ممَّا يؤدى إلى انغماسهم الكُلىّ فى حياة الجماعة، وأخذهم بأى نمطٍ من أنماط السلوك التى تحقق تقبل الجماعة لهم.

*** نبذ ما تفرضه البيئة عليهم :**

وقد ينبذ الأطفال ما تعرض عليهم البيئة من متطلبات بالعزوف عن الاشتراك فى النشاط مع جماعات الأطفال فى الجيرة، ويحدث هذا فى البيئات التى يحرص فيها الآباء حرصًا زائدًا على عدم إشراك أبنائهم فى أى نوعٍ من الألعاب، إلاَّ إذا كفلت لهم الطمأنينة والسلامة بالشكل الذى يرتضونه، ويحدث هذا أيضًا فى البيئات التى تتميَّز بالقلق وعدم الاستقرار. ومهما يكن من أمر هذه الأسباب.. فإن إعراض الأطفال عن الاشتراك فى الحياة الاجتماعيَّة يعنى - فى

واقع الأمر - انسحابهم، وعدم قدرتهم على التكيُّف مع مقتضيات الموقف الذى يواجهونه.

هذا ما يختص بتفاعل الطفل سلبًا أم إيجابًا مع البيئة. أمّا ما قد يتأثر الطفل به، من الظروف البيئيَّة المحيطة به، والتى تدفعه بدورها إلى الهروب والجولان، فهى تتمثل فى تواضع الأحياء التى يقيم فيها بعض الأطفال، ممَّا يدفعهم إلى ارتياد أحياء أخرى أكثر نظافة واتساعًا، على الرغم من كون والديهم يحوطونهم بالرعاية والعطف والمودَّة والإيثار، فالأطفال فى تلك الأحوال يُقدمون على ذلك، سعيًا وراء بيئات جديدة أكثر إشباعًا لحياتهم الاجتماعيَّة والمعنويَّة.

ونحسبُ أنَّهُ من الصعب أن يكون فى منازل هؤلاء الأطفال الضيقة الكئيبة المزدحمة التى تعوزها الشمس والهواء، ما يعوِّض الهواء الطلق، والسماء الصافية، والشمس المشرقة، والفضاء الرَّحب الذى يستطيع الطفل أن يتلَّمسه فى الحدائق، أو بين أحضان الحقول الخضراء، أو على شواطئ البحار الآخاذة، أو حتى فى طرقات المُدن الكُبرى بجذبها الدائم لوجدان الطفل وانبهاره بها.

ولازدحام المنزل الذى يقطنُ فيه الطفل أثره كذلك على جوانب الحياة الإنسانيَّة، فإنَّهُ فضلاً عن آثاره بالنسبة للبدن، فإن له أضرارًا أخرى بالحياة النفسيَّة الداخليَّة، والسلوك الاجتماعى للفرد. والأطفال الصغار بطبيعة الحال أكثر تأثرًا بمثل هذه الحياة التى تعرقل نموّهم النفسى، وتؤدِّى إلى اضطرابات الشخصيَّة؛ فالمسكن الذى خَطط له ونفذه متخصصون فى الإسكان فقط، حيث لم يراعوا فيه أنَّ الأسرة المكونَّة من اثنين سرعان ما تصبح ثلاثة أو أربعة أفراد، وهنا تبرز الآثار السَّيئة المترتِّبة على التخطيط غير السليم لعمليَّة الإسكان، ومساحة المسكن وتنفيذه، كما أن ضيق الحيِّز المكانى يؤثر على مدى ما يكون عليه الوالدين من الاستقرار والهدوء النفسى، حال تعاملهم مع أطفالهم؛ فضلاً عن أن الطفل بطبيعة تكوينه يميل إلى الحركة والنشاط واللَّعب، وهذا يتطلب حيزًا واسعًا؛ كى يستطيع أن يُبدّد فيه بعض ما لدّيه من طاقة، فإذا لم يتمكَّن من

ذلك، فيضطر إلى ممارسة أنماط من السلوك تثير القلق والاضطراب والضوضاء داخل المسكن، بالإضافة إلى حاجته المُلحة إلى مكانٍ أو حجرة خاصة لممارسة اللّعب بأدواته ولُعبه، التى تقوم بدور مهم فى تنمية معدّلات فهمه واستيعابه واكتساب خبرات جديدة.

وضيق المسكن يؤدى أيضًا إلى وقوع الطفل تحت ضغوط انفعاليّة، تؤثر بدورها على نمط شخصيته، والتى تبدو جليّة فى عدم النضج، وقلة الاعتماد على النفس ، والإتيان باستجابات غير متوافقة مع مثيرات الحياة التى يعيشها .

كما أنّ ضيق المسكن يتوك أثراً سيئاً على الوالدين وبقية أفراد الأسرة من الإحساس بالاضطراب والقلق النفسى ، لأنهم يعيشون فى حيز ضيق ، لايمكنهم معه الإحساس بالحريّة واستنشاق الهواء النقى ، وما يترتب على ذلك من سوء التعامل بين الوالدين من جهةٍ، والأبناء من جهةٍ أخرى ، وبين الإخوة الكبار من جهةٍ، والأطفال الصغار من جهة ثانية ، وضيق المسكن قد يدفع الوالدان إلى تشجيع أطفالهما للخروج خارج المسكن رغبة فى السكون والهدوء؛ وخاصة بعد عودتهما من العمل ، ومثل هذا التصرُّف قد لاتُحمد عقباه ، حيث يلتقى الأطفال بغيرهم ممّن هم فى عمرهم أو أكبر منهم ، أو ممّن هم دون مستواهم الخُلقى أو العقلى، ويتاح كذلك للأطفال فرص الاختلاط مع غيرهم من الناس دون إشراف من الوالدين ، الأمر الذى يترتب عليه اكتساب الأطفال لكثير من الأنماط السلوكيّة ،والخبرات الحياتيّة ،التى لاتتناسب وعمرهم الزمنى أو العقلى، بما تؤدى إلى عدم الفهم الدقيق لتلك الأنماط السلوكيّة ، وعدم الإدراك السليم لهذه الخبرات؛ فيكتسبون منها ما يضرُّ بشخصيتهم ، وما يعوق نموّهم النفسى السليم .

حتي نقي أطفالنا مخاطر الهروب والجولان :

* ينبغى أن يعى الطفل الحدود التى لاينبغى أن يتخطّاها فى لعبه أو لهوه، وأن تُذكر له الأسباب المنطقيّة التى تدعو الى التزامه تلك الحدود . وينبغى كذلك

أن نُهيئ كل طريقةٍ لاستبقائه فى هذه الحدود، كأن تلحظه أعين والديه، أو أن يُحكم غلق الأبوابِ والمنافذ؛ حتى يبلغ السِّن التى يستطيع فيها أن يُدرك الضرر الذى سيلحق به من تخطى تلك الحدود؛ فإذا بلغ من العُمر مبلغًا يستطيع فيه أن يتفهَّم ما نُلقيه عليه من تعليمات، وجب أن يوقَّع عليه نوعًا من أنواع العقاب البسيط، إذا عصى نواهى والديه عن قصد، كأن يُحجز بمفرده وحيدًا، أو أن يُحرم من بعض المزايا، أو أن تصادر منه بعضًا من لُعبه - التى يؤثرها - بعض الوقت، أو أن يبدى أبواه عدم الرِّضا، أو الإعراض المؤقَّت تجاهه، وما إلى ذلك من الأمور أو الوسائل، التى تُثبت للطفل أنه قد ترتب على عصيانه من النتائج ما يضره.

* أن يبتعد الآباء والمربون عن استخدام وسائل العقاب البدنيَّة الشديدة المؤلمة، كذلك أن يمتنعوا عن وسائل العقاب المعنويَّة من تشهير وتوبيخ واستهزاء بشخصه أو السخرية من تصرفاته؛ لأن كل هذه الأساليب ثبت أنها تؤثر سلبًا على صحة الطفل النفسيَّة. أمَّا إذا كان من الضرورى والمفيد فى الوقت نفسه، توقيع عقاب مُخفف على الطفل، فلابد أن يُوقع فى التوِّ واللحظة دون تأجيل أو إبطاء.

* إذا كان لدى الطفل استعداد للهروب والجولان - أتى إليه عن طريق الوراثة أو الاكتساب - كان من الضرورى أن نهيئ له فى منزله ما يجذبه ويشد انتباهه ويثيره، وإلاَّ لجأ للهروب ليلتمس المتعة بعيدًا عن أسرته، فنستعين فى هذا بنوادى الأطفال والملاعب والمكتبات وأهم من ذلك أن يرافق الآباء والأمهات أطفالهم فى نزهاتٍ داخل ملاهى أو مسارح الأطفال، حتى يرشدوا خُطاهم فى حبهم للمغامرة والإقدام، واكتساب مزيد من الخبرات الشيقة المثمرة، على أن الأطفال الذين يعيشون حبّ المغامرة، كثيرًا ما تكون قصص المغامرات الشيقة المُثيرة منفذًا لإشباع انفعالاتهم وتَصرُّفُهم كذلك - وفى أغلب الأحوال - عن الهروب والجولان.

* على الآباء أن يبحثوا عن الأسباب التى تؤدّى إلى هروب الطفل وجولانه،

وأن يحددوها تحديدًا دقيقًا، ومتى توصَّلوا إلى ذلك.. فإن العلاج يصبح واضحًا، ولهذا يمكن للآباء فى هذه الحالة الالتجاء إلى الأجهزة الفنيَّة التى تساعد العمليَّة التعلميَّة، مثل: العيادات النفسيَّة، ومراكز توجيه الطفولة.

ونوجز بعض هذه المسبِّبات التى يجب أن يوليها الآباء عناية وتدقيق؛ حتى يمكن علاج المشكلة أسريًّا ومدرسيًّا فى النقاط التالية :

* مدى إرهاق الطفل بالواجبات المنزليَّة، وتكليفهم بأعباء فوق طاقتهم وإمكاناتهم.

* مدى إحساس الطفل بالفشل فى متابعة المناهج الدراسيَّة.

* مدى انصراف الآباء عن متابعة أبنائهم، ونقص رقابتهم.

* مدى النقص فى طموح الأطفال نحو الاستمرار فى التعليم.

* مدى تراخى الإدارة المدرسيَّة وعدم متابعتها لحالات الغياب الفرديَّة.

* وجود نشاط مدرسى متنوِّع ومثير، يهيىء للأطفال الفرص المتعدِّدة للنمو الاجتماعى السليم، وإشباع حاجتهم إلى المساهمة مع الغير والتعاون، وتكوين علاقات سويَّة خارج دائرة الأسرة، وتعينهم كذلك على حفظ التوازن بين مختلف القيم والمستويات بما تزود من فرصٍ لتلبية حاجة الطفل إلى المكانة والقبول، والتعبير عن الذات، وتنمية المهارات الحركيَّة والاجتماعيَّة؛ ممَّا ينعكس أثره آخر الأمر على شخصيَّة الطفل وصحته البدنيَّة والنفسيَّة معًا.

* الطفل فى حاجة مُلحة إلى التغيير فى حياته اليوميَّة المدرسيَّة، وهو فى حاجة إلى أن يُعفى من العملِ العقلى المُجهد، ويشترك فى أوجه النشاط المختلفة التى تجلب إلى نفسه التجدد، وإلى عقله نوعًا من الرَّاحة الذهنيَّة؛ ولذلك وجب على المدرسة أن تُكثر من فترات الراحة، على ألاَّ تكون هذه الفترات قصيرة بشكلٍ لا يحقق الفرص السابقة، أو طويلة فتسبب ملل التلاميذ. ويحسن أن تكون هذه الفترات مجالاً لأن يلعب فيها التلاميذ لعبًا منظمًا صحيحًا ومفيدًا.

ومن الخطأ أن نحرم الطفل من اللَّعب والتسليَّة فى أوقات الراحة كعقابٍ له بسبب فشله فى عمله المدرسى؛ لأن هذا الأسلوب من أساليب العقاب قد يؤدى بالطفل إلى كراهية العمل نفسه، طالما أن العمل وفشله فيه، هو الذى حرمه من المتع، التى يحصل عليها فى فترات الراحة.

* للرحلات التى تقوم بها المدرسة أهمية كبرى فى علاج ظاهرة الهروب والجولان، والرحلات نوعٌ من أنواع النشاط الحرّ الذى يُتيح للأطفال - مع الأجواء التَّرويحية المرحة - كثيراً من القيم التربويَّة، التى تساعدهم على الخروج من نطاق الاعتماد على الكتب الدراسيَّة داخل الفصول، إلى نطاق الاعتماد على النفس فى كسب المعلومات، عن طريق الخبرة المباشرة، كما أن الرحلات تساعد على تكوين علاقات اجتماعيَّة سليمة، وعلى كسب كثير من الاتجاهات والعادات المقبولة.

والرحلات تتيح للأطفال فرص تعرُّف الأشياء ومظاهر النشاط المختلفة فى جو طبيعى خالٍ من التكلُّف والافتعال، وحافل بشتى ضروب المرح والابتهاج، وهذا يُحقّق للأطفال التعليم عن طريق الخبرة المُباشرة، والمُمارسة الفعليَّة التى تجعل معنى التعليم يمتد إلى تعديل السلوك وترقية التربيَّة فيمنح الطفل التكامل نفسيـًّا ووجدانيـًّا واجتماعيـًّا وصحيـًّا وخلقيـًّا، فضلاً عن الارتقاء بمستوى التحصيل العلمى.

* كما أن للمعسكرات قيمة كبيرة فى حياة الأطفال، تساهم فى وقاية الطفل من الهروب؛ فالمعسكرات المدرسيَّة تُهيىء للأطفال فرص العمل التعاونى المنظم لخدمة الجماعة، فيساعد هذا على تكامل شخصيَّتهم الاجتماعيَّة، ويُكسبهم القدرة على تحمُّل المسئوليَّات والاعتماد على النفس والثقة بها، وقوّة التحمل مع الصبر والمثابرة، والمحافظة على النظم والقوانين، إلى جانب ما يتيحه لهم المعسكر المدرسى من قضاء أوقات سعيدة فى المرح واللَّعب، مع ما يكتسبونه من علاقاتٍ وديَّةٍ مع تلاميذ المدارس الأخرى، وما يقومون به من جولاتٍ كشفيَّة

وندوات ثقافيَّة ومباريات رياضيَّة، وما يجدونه من الفرص السانحة لممارسة الهوايات الخاصة بهم.

* والحفلات المدرسيَّة إحدى الوسائل أيضًا التى تساهم فى علاج هذه المشكلة؛ فالحفلات المدرسيَّة هى وسيلة لإظهار نشاط التلاميذ وإشعارهم بمقدرتهم على النجاح ومواجهة الآخرين واكتساب إعجابهم، بجانب ما تتيحه للأطفال من فرص لاكتساب المهارات المتنوِّعة والخبرات المختلفة والاتجاهات الاجتماعيَّة السليمة كالتعاون وتحمُّل المسئوليَّات والنظام. والحفلات المدرسيَّة من الوسائل التى تستطيع المدرسة أن تستعين بها على نشر الوعى الصحى والاجتماعى والوطنى والدينى، وغير ذلك من شتَّى الميادين بين التلاميذ وأولياء الأمور وأهالى البيئة التى توجد المدرسة بها، بما تقدمه فى حفلاتها من برامج، تتضمن اتجاهات اجتماعيَّة وقوميَّة وصحيَّة واقتصاديَّة، خلاف ما تقدم من برامج ترفيهيَّة مسلِّية.

* كما أن للجمعيَّات والنوادى التأثير نفسه، فيتزايد الآن إدراك المجتمعات المحليَّة بمدى التأثير الفعال الذى تقدِّمه الجمعيات والنوادى فى بناء شخصيَّات الأطفال؛ لذا بادرت الجماعات والمنظمات المختلفة بتوفير الإمكانات اللازمة لممارسة الأطفال أنواع النشاط الرياضى والاجتماعى وغيرها. كما تقوم المدارس ودور العبادة ومراكز الشباب بتخصيص بعض حجراتها لإنشاء النوادى المحلية، التى يجتمع فيها الأطفال، تحت إشراف رائد أو مشرف اجتماعى.

وعلى الرغم من تزايد الإمكانات المتاحة للأطفال لممارسة ألوان النشاط المختلفة خارج المدرسة، إلاَّ أنَّ الأطفال لم يستغلوا بعد هذه الإمكانات الاستغلال الكافى. ويمكن للرائد أو المشرف الاجتماعى أو المُعلِّم أن يزيد من فهمه واستبصاره بالميول والاهتمامات الفرديَّة للتلاميذ ونضجهم الانفعالى وتكيفهم الاجتماعى، عن طريق ملاحظاتهم فى أثناء نشاطهم داخل هذه النوادى، أو عن طريق تتبع انشطتهم ومواقفهم مع روَّاد الأنشطة المنضم إليها.

ويستطيع رائد النادى أن يعرف الأطفال، الذين يحضرون بانتظام للنادى، والأطفال الذين يتضح من سلوكهم أنهم دفعوا إلى عضويَّة النادى نتيجة ضغط وإلحاح آبائهم لما يرجونه من فائدة تعود على أبنائهم، نتيجة التحاقهم بهذه النوادى، والأطفال الَّذين يجدون صعوبة فى الاندماج مع زملائهم لأنَّ آباءهم يفضلون لعبهم فى المنزل، والأطفال الَّذين لا ينتظمون فى الحضور للنادى؛ لأنهم يُحسونّ أحيانًا بالحاجة إلى الإحساس بالكبر، وبالشعور بأنَّهم قد تركوا جماعة الجيرة إلى جماعة النادى، ويحسون أحيانًا أخرى بعدم الارتياح والطمأنينة لهذا الوضع الجديد، وبالتالى بالحاجة إلى العودة إلى المرحلة السابقة، واللَّعب مع جماعة الجيرة وفي النطاق المحلِّى الضيق.

وعندما تثير ألوان النشاط المختلفة فى النادى ميول الأطفال واهتماماتهم، فإنَّه يمكن حينئذ تقدير مدى النضج الانفعالى لكل طفل، على أساس مدى إحساسه بمسئوليَّة المواظبة على الحضور، وكذا على مدى توحده مع الجماعة وتفاعله معها. ويمكن للمُعلِّم أن يقوم بملاحظة سلوك الأطفال فى النادى والتحدُّث إلى رائدهم، وأن يُكوِّن صورة واضحة من الأنماط السلوكيَّة المميِّزة للسلوك الاجتماعى لكل طفلٍ من الأطفال.

* لابدَّ من التخطيط السليم لعمليَّة الإسكان، على أساس من التنبوء العلمى الصحيح، وليس على أساس التفكير الفورى لحلٍّ مشكلة الإسكان، دون مُراعاة ما يمكن أن يحدث من نتائج نفسيَّة واجتماعيَّة حال الأخذ بمثل هذه الحلول الوقتيَّة، هذا مع الأخذ فى الاعتبار ضرورة إشراك كل من يعينهم الإنسان ـ كلٌّ فى مجال تخصصهُ ـ حال التخطيط والتنفيذ، وألاَّ يقتصر التخطيط على جهة واحدة كالمهتمين بالإسكان فقط، بل يجب أن يشرك معهم ـ على سبيل المثال ـ بعض المتخصصين فى مجال الصحة الجسميَّة والصحة النفسيَّة وخبراء العلاقات الاجتماعيَّة، حتى يمكن التخطيط السليم لنوعية المسكن، الذى يُعد البيئة الأولى التى يستنشق فيها الطفل هواء الحياة، الذى يُعينه على الاستمرار والبقاء فيها، يؤدى دوره بشكلٍ سوىٍّ سليمٍ.



الفصل الثامن

التلكؤ



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التلكؤ

بعض الآباء والأمهات يتحدثون عن المتاعب، التى يلاقونها من أحد أطفالهم بالأسى والألم، وكثيراً ما يصفون هذه المتاعب بأنها تحدث فى الصباح الباكر، وهى الفترة التى تحتاج فيها الأسرة إلى اقتناص كل دقيقة؛ كى يذهب كل فرد من أفرادها إلى عمله فى الميعاد...

يصفون هذا الطفل بأنه متلكئ، مماطل؛ فهو يمكث فى فراشه طويلاً؛ مما يحدو بالأم أن تتردد على حجرته المرة تلو الأخرى، تحثه على الاستيقاظ. وعندما تنتهى من إعداد وجبة الإفطار، تهم بتفقده حتى تتأكد من أنه استيقظ، وبدأ فى ارتداء ثيابه، فتجده لم يفعل شيئًا يدعو للتفاؤل، فتحاول جاهدة أن تتملك حنقها، وتكتم غضبها فتقدم له المساعدة على عجلٍ ، وحينما ينتهى من هذا يذهب ببطءٍ إلى المائدة، فيكون قد تأخر كثيراً عن موعد الإفطار، بينما يكون إخوته وأخواته قد فرغوا من تناول طعامهم، ومع هذا يحاول الأب أن يدخر ما تبقى لديه من صبرٍ وأناة، وتتظاهر الأم المقهورة بالهدوء؛ حتى يتمكن الطفل من تناول طعامه، فيبدأ تناول وجبته بحركاتٍ متأنية بطيئة، فتضطر والدته بأن تخبره أنه إذا دام الحال هكذا.. فإنه سيتأخر عن موعد المدرسة، والطفل لايبالى كثيراً!!.

والغريب أن هذه الأفعال تتكرر فى كل صباح، ليس هذا فحسب، بل إن هذا الموقف يحدث فى فترة الغذاء أيضًا، حتى أنه يعمد فى بعض الأحيان بأن

يتحصن داخل حجرته لفتراتٍ طويلة؛ ممَّا يبعث فى أفراد الأسرة جميعًا الحنق، والشطط، والعصبية.

العوامل التي تؤدي إلي حدوث ظاهرة التلكؤ :

إذا دققنا النظر فى العوامل التى تؤدى إلى ظاهرة التلكؤ هذه لدى الطفل، لوجدنا أن النزعة إلى المماطلة تَتَولَّدْ بسبب اجتماع أم نشطة مع طفلٍ متأن، وهذا الوضع لا يسبب متاعب فى العام الأول من حياة الطفل، أمّا عندما يبلغ عمره عامًا أو عامين، فإن والديه يتوقعان منه أن يأتى إلى المائدة فى مواعيد الوجبات من تلقاء نفسه، وأن يُطْعِمَ نفسه بنفسه، وهذه السن هى التى تكون فيها حركات الطفلِ بطيئة، الأمر الذى يستنفذ صبر الأم، والأهم من ذلك فإن هذه السن هى التى تتجلى فيها طبيعة الطفل بأن يظهر استقلاله عن والديه وبالأخص والدته، لذا فهو يقول: «لا» دائمًا، كما أنه يرفض أن يسيطر عليه الآخرون سيطرة صريحة، ويُصِرُّ على أن يحاول أداء حاجاته بنفسه.

والجدير بالذكر أن هذه المرحلة من عمر الطفل تقل مشقتها كثيرًا بالنسبة لبعض الأمهات عنها بالنسبة لغيرهن، فالأم التى تأخذ الأمور بهدوء وبساطة ولاتُقْلِق نفسها كثيرًا بشأن صياغة شخصية طفلها، قلَّما توجد مناسبات تدعوها إلى الاشتباك مع طفلها المتلكِّىء، أمَّا الأم التى لا تحس أنها مُلْزَمَة بالسيطرة على مشاعرها، فإنها تنفجر فى طفلها عند إتيانه بأساليب سلوكية قوامها المماطلة والبُطْء، ذلك لأن الحنق والغضب قد وصلا حد الذروة فى وجدانها فملكا بالتالى تفكيرها وتصرفاتها، وشلا صبرها وإرادتها.

وننوه بأن الأم الضَّجِرةَ التى تراودها الرغبة فى حث الطفل على الهمة والنشاط بدلاً من التلكُّؤ والبطء، هى التى تتسبب فى تمادى الطفل للاستغراق فى بطئه ومماطلته وتلكوئه، لأنه يحس دائمًا بأنه مضغوط ومُحَاصَرٌ، وعمومًا فإن سلوك الطفل هذا هو أحد أسلحته البارعة، التى يستخدمها فى الدفاع عن نفسه، كلَّما أحس بالضغط النفسى أو الشد العصبى.

وسائل العلاج المقترحة :

فى حالة الطفل الذى لم يتجاوز العامين من عمره، والذى يدأب على التلكؤ فى الطريق العام مثلاً، فإن هناك وسائل عديدة لعلاجه بدلاً من حثه على الإسراع وشحذ الهمة، أهمها أن تمضى الأم قُدُمًا فى طريقها إلى الأمام غير عابئة به، وعندما يتيقن الطفل من أن أمه لاتهتم ولاتعبأ بتلكُّوئه، فإنه عادة سوف يتبعها رغم كل وقفاته الجانبية المتعددة.

أمَّا إذا بلغ الطفل السابعة أو الثامنة من عمره، وقد أصبح ذا خبرة فى التلكُّؤ والمماطلة ـ ذلك أن كفاح الطفل فى الفترة ما بين السادسة والثانية عشرة؛ للحصول على مزيد من الاستقلالية عن والديه ـ فإنه يستخدم سلاح المماطلة أو التلكُّؤ، يشهره للدفاع عن نفسه، والعلاج المقترح يتكوَّن من شقين، هما:

الشق الأول :

أن يتجنب كلا الوالدين التدخل فى المواقف التى يتلكَّأ فيها الطفل قدر الإمكان، كى يتيحا بذلك الفرصة المُثلى لأن يصبح شعور الطفل ووعيّه هما الحافزان، اللَّذان يدفعانه إلى الهمَّة والنشاط والإسراع. فعندما يتلكَّأ الطفل فى الذهاب إلى المدرسة فى الصباح، تستطيع الأم أن تقول لطفلها دون عصبية أو حنق: «أنا لن أطلب منك فى كل لحظة أن تنهض من الفراش وتستعد للذهاب إلى المدرسة؛ لأن هذا سيثير حنقك، ويدفعك إلى التمادى فى البطء، كما أنه يرهقنى بطبيعة الحال، ولذلك سوف أناديك مرة واحدة، ثم أدعك أنت تقوم ببقية المهمة».

ولابد أن تتيقن الأم أن هذا الأسلوب لن يأتى بثماره المرجوَّة، ولا يؤدى إلى إصلاح الطفل بين عشيَّة وضحاها؛ لأن الطفل سوف يقوم باختبار نوايا والديه؛ ولذلك يلزم من الأب أو الأم الأميل إلى الصبر أن يقدم التشجيع المعنوى للآخر الفاقد الصبر. ومن المحتمل أن الطفل المتلكِّىء سيغادر المنزل إلى المدرسة فى اللحظة الأخيرة بالضبط، وفى هذا نجاح للخطة الموضوعة. ولكن لنفترض أن

عربة المدرسة أتت فى ميعادها، وكان الطفل غير مهيىء لذلك فما التصرف؟ فى هذه الحالة يجب أن ندع العربة تنطلق دون أن تُقِلَّه إلى المدرسة، ودون أن نوجه إليه أى لوم أو تعنيف أو حتى تأنيب، بل على العكس لابد أن نبدى تعاطفًا تجاهه، فالأمل معقود على أن الطفل سيقتنع بمرور الوقت أن الضغط الوالدى قد رُفع عنه، ومن ثَمَّ صار مسؤولاً عن تصرفاته التى سيتحمل عواقبها سلبًا أو إيجابًا.

الشق الثانى :

هو أن يتولى الأب أو الأم الأميل إلى الصبر معالجة أمور الطفل المُتَلَكِّئ فى المواقف التى تكون فيها المشكلة، المماطلة والبطء، وهذه الوسيلة لن تفيد أو تُجدى مع هذا الطفل إذا فقد كلا الوالدين صبرهما إثر استفزاز الطفل لهما. وقد يستطيع أحد الوالدين جذب أطراف الحديث مع الطفل فترة الصباح، أثناء التنقل من غرفة إلى غرفة، أو فى أثناء ارتدائه ثيابه أو تناوله الطعام. وإذا كان تلكُّؤ الطفل فى تناول الطعام قد يسبب كدراً أو ضجراً لأحد الوالدين أو كليهما . . فلابد فى هذه الحالة أن تقدم الوجبات للأطفال على انفراد، مهما كان الجهد أو التعب أو المشقة، وبالتدريج سوف يُقْلِع الطفل عن تلكوئه هذا، عندما يجد أن هذه الأفعال لم تعد تستثير الأب أو الأم.

الفصل التاسع

السرقة



السرقة

يجب أن ننبه من البداية إلى أن السرقة عند الطفل لها مدلول يختلف عن المدلول الذى لدينا نحن الكبار؛ فالسرقة لدينا عمل مشين ومهين، يتنافى بطبيعة الحال مع القيم والمعايير الأخلاقية، ولذا نستطيع أن نتصور مدى انزعاج الآباء، عندما تبعث إليهم المدرسة مشيرة إلى أن أطفالهم قد ضبطوا متلبسين بالسرقة، إنهم يضطربون اضطرابًا شديدًا، قد لا يحدث لهم - هذا الاضطراب - إذا قيل لهم: إن أطفالكم كسالى أو متخلفون دراسيًّـا!!، ذلك لأن الآباء لا يعتبرون أنفسهم قد فشلوا فى تعليم أطفالهم قواعد العلم وأسس المعرفة والثقافة فحسب، بل أخفقوا أيضًا فى تهذيبهم وتقويمهم، وأن هؤلاء الأطفال قد صاروا يواجهون مستقبلاً مترديًا، يؤكده هذا الانحراف الخُلقى.

وحقيقة الأمر، التى تؤكدها معظم الدراسات السيكولوجية، أن هناك أنواعًا من السرقة يأتيها الطفل بدوافع بعيدة كل البعد عن دوافع السرقة فى مدلولها السالب المهين، الذى لدينا نحن الكبار، فقد يسرق الطفل لأنه لا يدرك معنى الملكية. والأجدر بنا والأصوب أن نهتم ببحث واستقصاء الدوافع والأسباب، التي أدت إلى سلوك السرقة قدر الاهتمام بالواقعة نفسها.

دوافع السرقة وأسبابها :

أولاً : الجهل بمعنى الملكية :

إن غريزة الاقتناء أو الامتلاك قوية فى كثير من الأطفال، إلى أنْ يتعلَّموا بخبرتهم أن كثيراً من الأشياء مُحرَّمة عليهم، غير أن الخوف من العقاب فى بداية حياة الطفل هو العامل الوحيد الذى يَرْدَعُه عن السَّرقة.

وعندما يمدُّ الطفلُ يده ليستولى على ممتلكات غيره، إنّما يَمدُّها لأنه يَرْغبُ فى استخدام تلك الممتلكات، لا ليسْرقَها - كما نتصوّر - فهو يجْهل تمامًا معنى أن يحترم ملكيّة الآخرين؛ فنموه لم يمكّنه بعد من التمييز بين ممتلكاته وممتلكات غيره، وهو أيضًا لا يدرك أنَّ احترام ملكيَّة الآخرين تعنى ألاَّ يحصل عليها، أو يستخدمها إلاَّ بإذن من أصحابها وإلاَّ أُعتبر الأمر اعتداءً على حقوقهم.

وقد ينبِّه الأبُ أو الأمُّ إلى ذلك بالزَّجْرِ تارة، وبالعقاب تارة أخرى، ولكن لا يفتأ الطفل أن يعاود الفعلة مرة أخرى، ذلك لأن المعنى لم يرسخ - بعد - فى ذهنه. إنه بالقطع لا يتصوَّر أنه فعل أمراً مذمومًا محرَّمًا.

ومثل هذا الطفل لايمكننا أن نعتبره (سارقًا) ويكفى، لكى نعوِّده على سلوك الأمانة أن ننمى فكرته عن الملكية الخاصة والملكية العامة، وذلك بأن نخصص له أدوات خاصَّة يتناول بها طعامه، وأخرى يستخدمها فى الاعتناء بأمور نظافته الشخصيَّة ، وأن نخصِّص له كذلك اللُّعب والكتب والأدوات التى يحتفظ بها فى مكانٍ يخصُّه وحده ، فى الوقت الذى نطالبه بضرورة الحفاظ عليها من التَّلف ، والعناية بها وعدم إهدارها أو فقدها .

ثانيًا : الحرمان والحاجة لسد الرمق :

قد يسرق الطفل ليَسُدَّ الرَّمقَ ويُشْبع دافع الجوع لديه ، وتكون السَّرقة هنا منصبّة إمَّا على نوعٍ من أنواع الطعام ، أوعلى النقود التى ينفقها لشرائه، وهذا النوع من السّرقة نادر الحدوث ، ويكاد يكون مشكلة اجتماعيَّة أكثر منه مشكلة سيكلولوجيَّة ، أى أنَّ هذه السَّرقة تدخل فى نطاق المُهتمين بالإصلاح ومشكلات

المجتمع ونظام العمل والأجور وتوزيع الثروة فيه، أكثر ممَّا تدخل فى نطاق المهتمين بالدِّراسات والمشكلات السلوكيَّة والنفسيَّة، على الرَّغم من أنَّ الحرمان عندما يصل إلى هذا الحد يكون له آثاره النفسيَّة السيِّئة.

ثالثاً : الغيرة والانتقام :

الطفل قد يسرق فى المواقف التى تُثار فيها غيرته الشديدة، فقد يسرق من والديه إذا وجد أنهما انصرفا عنه وأهملا شئونه، والسَّرقة هنا انتقاميَّة كردٍّ فعل لتجاهل الوالدين له هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قد تكون السَّرقة نوعًا من التنفيس عن الغضب أو الحنق المكبوت، ولذا فقد تكون الأشياء المسروقة من أشياء أو ممتلكات الوالدين، وقد لا تكون؛ فقد يلجأ الطفل إلى سرقة زميل له يشعر تجاهه بالضيق أو الغيرة، ولايستطيع مواجهته أو مصارحته، فيسرق أدواته، وقد يحطِّمها لأنه يسرق بدافع الانتقام والتشفِّى.

رابعًا : الرغبة فى الامتلاك :

قد يسرق الطفل شيئًا لأنَّ لديه رغبة مُلحَّة فى استخدام أو امتلاك الشىء المسروق، إذا وجد الطفل بجوزة صديقه لُعبة أعجبته، فى الوقت الذى لا يمتلك مثلها، فقد يفكر مليًّـا فى سرقتها واستخدامها فى خفيه تامة ليستمتع بلذة ملكيتها، ونشوة استعمالها. وفى هذه الحالة لا يسرق الطفل إلاَّ ما يروقه من أشياء، وفى بعض الحالات يُعيد الطفل الشىء المشروق خفية أيضًا، بعد أن يكون قد استخدمه وحقَّق رغبته، ولم يعد لهذا الشىء المسروق الجاذبيَّة بالنسبة له. ومن هنا يتحتم على الآباء أو الأمهات توفير الأدوات أو المقتنيات أو اللُّعب، التي تروق أطفالهم، وتجتذب أبصارهم قدر الإمكان؛ حتى لا يلجأون إلى السَّرقة بدافع الرَّغبة فى الامتلاك.

خامسًا : التخلص من المآزق :

كثيرٌ من الأطفال يسرقون ليتخلَّصوا من مآرق قد يمرُّون بها، فقد يقسو المُعلِّم على أحد تلاميذه بالتأنيب أو التوبيخ، كلَّما أخفق فى أداء واجباته، أو فى عدم

سرعة تلبيته لفهم الدروس؛ مما يُسبِّب له مآزق سيئة، كأن يتهكَّم منه أقرانه، فيحاول الطفل الخروج من تلك المآزق بشراء بعض الهدايا، التى يقدِّمها إلى المُعلِّم علَّها تخفف من حدَّة التأنيب والتوبيخ، وإذا لم يجد الطفل المال الكافى لشرائها فإنه يلجأ إلى السَّرقة، متمثلة إمَّا فى سرقة إحدى مقتنيات أبيه ليقدمها هدية للمُعلِّم، أو يسرق بعض المال ليبتاعها. وقد تجد هذه السَّرقة تشجيعًا ورواجًا إذا تقبلها المُعلِّم شاكرًا ممتنًا، ثم راح يتغاضى عن تقصيره الدراسى.

لذلك. . . ننصح المُعلِّمين بعدم قبول مثل هذه الهدايا من الصِّغار أو الكبار، لاسيما إذا كانت تلك الهدايا باهظة الثمن، عالية القيمة، الأمر الذى يجعلنا نتشكّك فى طريقة أو وسيلة الحصول عليها، وأيضًا حتى لا تكون مثل هذه الهدايا نوعًا من الرِّشوة المهذبة التى سرعان ما تتأصَّل فى سلوك الأطفال كسلوك محمود، كلمَّا وقعوا فى مآزق متشابهة فى حياتهم العمليَّة بعد ذلك.

سادسًا الخوف من العقاب:

يحدث أن نجد طفلاً قد أضاع مثلاً علبة ألوانه بالمدرسة، فيذهب إلى المنزل يشكو لأبويه؛ حتى يُمكنه الحصول على النقود ليبتاع أخرى، فيأبى والداه أن يأتياه بمثلها، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحدِّ، بل يهدِّدانه بالعقاب الصارم إذا لم يجد علبة ألوانه المفقودة؛ فيفكر الطفل فى سرقة النقود اللازمة لشراء علبة الألوان؛ اتقاء العقاب المُزمع تنفيذه. وبعد أن يبتاع مثلها، يهمُّ الصغير إلى والديه، ويخبرهم أنه قد وجد علبة ألوانه مختبئة فى صوانه الخاص. وعندما يقتنع الأبوان بذلك، يزول بالتالى خطر التهديد والعقاب، ويستنشق الطفل عبير الأمن والأطمئنان، ولكن بعد أن يتعلَّم أن السَّرقة قد تقى من العقاب أحيانًا.

لذا نحذِّر الآباء من شدَّة العقاب إذا ما فقد الصِّغار أدواتهم، لأنَّ هذه الأمور تَعدُّ مسلكًا طبيعيًّا يحدث لكل الصِّغار، والواجب على الآباء أنْ يوجِّهوا أطفالهم بنوعٍ من المودّة والحبِّ متغاضين عن العقاب لأول مرَّة، فيهمُّوا بتلبية مطالبهم بإعطائهم البديل، أمَّا إذا تكرَّر الموقف مرَّة أخرى، فليتعرفوا أسباب هذه الظَّاهرة، فقد يكون الطفل ضعيف الذاكرة، أو سريع السَّهو أو النسيان، أو أنَّ

هناك فى المدرسة أطفالاً أعتادوا سرقة مثل هذه الأدوات، ونؤكد أنَّ الخوف من العقاب يدفع الصِّغار دائمًا إلى الإتيان بأساليب سلوكيَّة غير مرضيَّة كالسَّرقة أو الكذب.

سابعًا: التفاخر والمباهاة:

يعانى بعض الأطفال الحرمان من امتلاك الأدوات واللُّعب التى تروقهم، إما لضيق ذات اليد، وإما لسوء تقدير الأبوين بشأن توفير ما يحتاجه أطفالهم من أدوات ولُعب، ثم يذهب الطفل إلى المدرسة، أو إلى النادى فيروِّعه الأمر ويؤرِّقه؛ لأنه يرى بحوزة أصدقائه أو أقرانه عديدًا منها، وممَّا يزيد الأمر سوءًا أن يجد من رفاقه المباهاة والتفاخر بما يملكون، والسعادة الغامرة بما ينعمون. فتدبُّ الغيرة فى قلبه، ويترسَّخ بداخله الشعور بالنقص لفقده الأمل فى اقتناء مثل هذه الأدوات واللُّعب، والنتيجة المتوقَّعة هى أن الطفل يفكّر مليـًّا فى الأمر فلا يجد سوى السَّرقة مفرًّا ومخرجًا؛ فيهمُّ بسرقة مثل هذه الأشياء من أصدقائه أو أقرانه ليلهو بها ويتمتَّع بصحبتها، وعندما يسأله أبواه عن مصدر هذه اللُّعب والأدوات، فإنه يدَّعى أن أصدقائه أهدوه إيَّاها، وقد يجنح فيدَّعى أنَّه فاز فى إحدى المسابقات المدرسيَّة فكافأته إدارتها بأن أعطته هذه الهدايا !!.

أو لعلَّ الطفل يسرق النقود ويشترى هذه اللُّعب ويحتفظ بها بعيدًا عن الأنظار؛ حتى يحين موعد ذهابه إلى المدرسة فيضع هذه اللُّعب أو بعضها فى حقيبته المدرسيَّة ليتمكّن من التباهى والتفاخر بها أمام أقرانه، مدعيًا أيضًا أنَّ والديه قد ابتاعاها له.

ولا شك أنَّ هذا الطفل يعانى من شعور شديد بالنَّقْص، ويشعر دائمًا بأنه دون مستوى أقرانه، لذلك على الأبوين توفير ما يمكنهم توفيره من تلك الأدوات واللُّعب، وهذه ليست معضلة على الإطلاق، فهناك من اللُّعب والأدوات ما يستلفت النظر، ويأخذ بالعقول لجمال ألوانها وبديع صنعها مع كونها زهيدة الثمن، إذا ما قُورِنت بما ينفقه الآباء على شراء التبغ مثلاً، كما أنَّ الأمَّ إذا

وضعت ذلك نُصْبَ أعينها لأمكنها أنْ تقتصد ممَّا تنفقه على زينتها وملبسها؛ فتوفِّر الشيء المعقول الذى تنفقه لشراء ما يحتاجه أطفالها؛ حتى لا يضطروا ـ بدافع التباهى والتفاخر ـ إلى السَّرقة.

ثامنًا : التقليد والمحاكاة :

يتابع معظم الأطفال باهتمامٍ شديدٍ ما يجرى فى عالم الكبار، فنجد الطفل يستمع لأقوال والده ويحاول فهمها وترديدها وقد يتحمَّس لها، والفتاة تبدأ فى الاهتمام بما تردِّده الأمُّ فتتابع أحاديثها بإنصاتٍ شديد، هذه السِّمات من شأنها أنْ تؤثر على الطفل؛ فهو على استعداد دائم للوقوع تحت تأثير الآخرين، وهى ما يُطلِق عليها علماء النفس «القابلية الشديدة للاستهواء»، بحيث يكون الطفل على استعداد للتأثُّر بما يسمعه أو يشاهده، خاصةً ممَّن يكبرونه سنًّا، ويشغلون أدوارًا مهمة بالنسبة له مثل الأبُ أو الأمِّ، بحيث إنَّه يمكن أن يغيِّر من آرائه، ويعدِّل من اتجاهاته حسب رغبات واتجاهات هذا الآخر، ويتضح أن الطفل فى تلك المواقف إنَّما يقوم بعملية توحُّد مع نموذج معيَّن، والنموذج هو الشخص الذى يتأثَّر به، وبهذا يميل الطفل إلى التقليد والمحاكاة، فهو عن طريقهما يستطيع أن يُشكِّل سلوكه ويكوِّن معتقداته ومُثُله العُليا وقيَمه، وقد يحدث أن تمتد يدُّ الأمِّ إلى حافظة نقود زوجها لتستولى فى ـ تكتُّم وسريَّة ـ على بعض النقود، فيراها الطفل دون أن تشعر بوجوده، ثم يأتى الأبُ ليكتشف الأمر فيثور، والأمُّ بالقطع تتنصَّل من المسؤولية، أمَّا الطفل فإنَّ عقله يذهب ويجئ، يحاول أنْ يتصوَّر ويستنتج، وغالبًا ما يسأل نفسه: «هل أظلُ صامتًا أحتفظ بالحقيقة لنفسى؟ أم أروى ما رأيت فأكشف أمر أمِّى فيدبُّ الصدام بينهما، ثم أنال العقَاب من أمِّى بعد ذلك؟» ومهما يكن موقف الطفل، فقد تأثَّر تأثُّرًا سيِّئًا بفعلة أمه (النموذج والقدوة)، فالأرجح أن هذا الطفل سيغيِّر من قِيَمه التى اكتسبها، ويُعدِّل من اتجاهاته التى سبق له وتبنَّاها، وبمرور الوقت لا يسأل الطفل والده عمَّا يريده من نقود، بل ستمتدُّ يداه إلى حافظته ليأخذ منها ما يُعينه على الإنفاق، ثم تمتد يداه أيضًا إلى حقيبة والدته ليسْلُبَ منها ما يبغى، وهكذا يصبح الطفل محترفًا للسَّرقة

لا لشيء، وإنَّما لأنّ القدوة والنموذج قد رآها مُتَلبِّسة بالسَّرقة فيتوحَّد ويقلِّد ويحاكى.

تاسعًا : أصدقاء السوء :

الطفل تتسع دائرته الاجتماعيَّة، ويتمثَّل ذلك فى وجود أصدقاء له يذهب ويجىء معهم، من وإلى المدرسة، ويقضى بصحبتهم فترات الراحة والاسترخاء والطفل يجد نفسه مشدودًا إلى أصدقائه يبدى ولاءً وإخلاصًا لهم، ويكون على استعداد للتضحية فى سبيلهم بكل ما يملك، ويكون سعيدًا وهو يفعل ذلك.

وحينما لا يتدخَّل الأبُ أو الأمُّ فى انتقاء الأصدقاء.. فقد ينحرف الطفل ويسوء الاختيار، فهذا طفل تعرَّف بصديقٍ يقطن إلى جواره فى المسكن، يكبره بعدة سنوات، كان يرافقه فى رحلاتٍ قصيرةٍ فى أيام العطلات الأسبوعية، ولسوء الحظ كان هذا الصديق منحرفًا سلوكيـًّا، إذ كان مُعتاد السَّرقة، ولمَّا كان الطفل يقع تحت تأثيره، وكان الأبوان فى غفلةٍ عن ابنهما.. فقد انتهت هذه الصداقة باشتراكهما فى سرقة النقود وبعض الأشياء الأخرى، لقد وجد الصغير فى هذا السلوك متعة فى إثبات ذاته وقدراته، كما وجد لذَّة فى الجرأة والشجاعة التى تصاحب السَّرقة.

إن أصدقاء السُّوء أخطر ما يكونون على الأطفال الصِّغار، وقد كان فى إمكان الأبوين توجيه مثل هذا الطفل؛ لإثبات وجوده وذاتيته وقدراته فى اتجاهات إيجابيَّة كثيرة، تفيده وتفيد المجتمع أيضًا، وكان من الضرورى عليهما انتقاء أصدقائه الانتقاء الصحيح والملائم.

عاشرًا : شغل وقت الفراغ وإشباع الميول :

يُظهر الطفل تقدُّمًا اجتماعيـًّا فى لعِبه، فبعد أن كان لعبه انعزاليـًّا فى سنتى المهد، فرديـًّا فى طفولته المبكِّرة، يصبح لعبه جماعيـًّا فى الطفولة المتأخِّرة، فهو يشارك فى الألعاب الجماعيَّة بكل حماسٍ ودأبٍ، فمن اللَّعب الانعزالى الذى يلعب فيه دون أنْ يشاركه أحد حتى يصل إلى مرحلة اللَّعب الجماعى، الذى

يكاد ينتهى فيه وجوده كفرد مستقل لحساب وجوده، إلى عضو فى جماعة تعمل لتحقيق هدف مشترك. إذًا الطفل يحتاج لشغل أوقات فراغه فى لَعِب جماعى يضمه مع أصدقائه وأقرانه. ويحدث أحيانًا أن يعيش الطفل فى جوٍّ عائلىٍّ صارم، فيُمنع من مخالطة أقرانه إمعانًا فى فرض الحماية، أو ادِّعاء الخوف خشية تعرُّضه لحوادث، قد تصيبه من جرَّاء ذلك، وحينما يهمُّ الطفل بسؤال والديه لأجل تلبية رغباته بمنحه بعض النقود، التى تمكّنه من الذّهاب إلى التنزُّه أو ارتياد مسارح أو ملاهى الأطفال فإنهما يرفضان، وقد لا يكون هذا الرفض من منطلق التقتير عليه بل لسوء التقدير، فهما يؤكدان أن وجوده فى المنزل أدعى وأفضل لِمَنْ فى مثل عُمْره!! فيذعن الطفل لأوامرهما، ويمكثُ فى المنزل دون شغل وقت فراغه بما يشبع ميوله، ولمَّا يضيق الطفل من هذه العزلة الصارمة، يضطرُّ فى النهاية إلى سرقة بعض النقود، كلَّما سنحت له الفرصة؛ فينفقها فى مشاهدة عروض مسارح الأطفال أو ارتياد الحدائق والمتنزهات أو ركوب الدرَّاجات.

لذلك... فإننَّا ننصح الآباء والأمهات باشتراك أطفالهم فى النزهات الخلويَّة والأنشطة المدرسيَّة المختلفة كالرَّحلات والمعسكرات وارتياد مسارح وملاهى الأطفال، وأن يخصِّص الأبوان فرص الذِّهاب إلى الحدائق والمتاحف والمعارض وغيرها.

هذا... وتظهر بدايات الميول عند كلِ الأطفال - وإنْ كانت لاتعرف التخصُّص إلاَّ مع نهاية مرحلة الطفولة المتأخِّرة وبداية مرحلة المراهقة - من أجل ذلك لابد من إتاحة الفرص؛ لممارسة أكبر قدر من الأنشطة فى كافَّة المجالات كالرسم والتصوير والقراءة الحرَّة والموسيقى وجمع العُمْلات أو الطَّوابع التَّذكاريَّة. والأمر الذى يدعونا للدهشة والقلق معًا أن بعضًا من الآباء لايهتمّ بتنمية الميول كجزء أساسى من تربية الطفل وتنشئته، على اعتبار أن مزاولة هواية كالرَّسم مثلاً مدعاة لمضيعة الوقت، وإنها من قبيل الترف ولاعائد يُرجى منها... كل هذه الأمور تجعل الطفل يلجأ إمَّا إلى سرقة النقود لشراء ما يروق له من ألوان، أو ليبتاع آلة موسيقية صغيرة، أو قد يلجأ فى أحيان أخرى إلى سرقة هذه

الأدوات من بعض الأصدقاء أو الأقران أو من حجرات التربية الفنيَّة أو الموسيقيَّة أو الرياضيَّة بالمدرسة، ولذلك فإن السَّرقة تكون بغرض إشباع الميول التى يريد الطفل من خلالها أن يشغل بها وقت فراغه؛ لذا ينبغى توفير مثل هذه الأدوات والآلات، التى تشبع ميول الأطفال وتشغل وقت فراغهم؛ حتى لايلجأوا إلى مثل هذا النوع من السَّرقة.

الحادى عشر : البيئة الإجرامية :

قد يعتاد الطفل أحيانًا السَّرقة؛ لأنه قد ينشأ فى بيئة إجراميَّة عوَّدته السَّرقة وشجَّعته على الاعتداء على ملكيَّة الغير؛ خصوصًا حينما يشعر الطفل بنوعٍ من القوة والظفر وتقدير الذَّات، لا سيَّما حينما يفلت من العقاب!! وممَّا يدعو للأسف أن هذا السلوك الذى يكتنف الطفل فى الصغر، سرعان ما يتطوَّر ويتحوَّل إلى سلوكٍ إجرامىٍّ فى الكِبَر؛ لأنه البيئة شجَّعته على السَّرقة.

ونودُّ أن نقول إنَّ الأطفال الصِّغار الذين يُضْبَطُون وهم يسرقون ثم يودعون مؤسَّسات رعاية الأحداث، إنَّما هم فى الواقع أطفال، يتمتع غالبيتهم بذكاء مرتفع، وقدرات عقليَّة وبدنيَّة لا بأس بها، ومن هذه القدرات: سرعة حركة الأصابع، وخِفَّة الحركة، وارتفاع مُعدل اللياقة البدنيَّة بالمقارنة بأقرانهم، كما أنهم على جانبٍ كبيرٍ من دقة الملاحظة والاستنتاج، كما يمتلكون اللباقة فى الحديث والتظاهر بالأدب الجمِّ والميل إلى مساعدة الغير، وكلُّها دون شك تجعل من عملية السَّرقة أمرًا ميسورًا. والملاحظ أنَّ هؤلاء السارقين الصِّغار إنَّما يسرقون دائمًا تحت تأثير الكبار؛ أى إنهم يسرقون كأعضاء فى منظمة أو جماعة، وقد يلجأ زعيمُهم إلى تهديدهم بالضرب والعقاب أو الأذى، إذا امتنعوا عن تنفيذ أوامره، ومن ثمَّ يعتادون السَّرقة ويحترفونها.

وقد أدلى بعض الأطفال من نُزَلاء مؤسَّسات رعاية الأحداث ببعض الاعترافات، التى تجعلنا تجاه مسؤولية خطيرة مُلْقاة على عاتقنا بشأن رعايتهم وتأهيلهم؛ فقد قال أحدهم:

«لقد درَّبنا زعيمُنا على استخدام الحِيَل تدْرِيبًا جيِّدًا وطويلاً، وهذه الحِيَل تساعدنا على استدرار عطف ضحايانا تمهيدًا لسرقتهم». وقال آخر: «إنّنا تدرّبنا طويلاً على وسائل وطرق السَّرقة؛ خصوصًا فى الأماكن العامة المزدحمة بالمارَّة، كذلك على السَّطو على المنازل والمحال التجارية».

ونحن نرى أنه لابد من الاهتمام بالأطفال، نزلاء مؤسسات رعاية الأحداث عن طريق:

* توفير سبُل الرِّعاية والرَّاحة لهم، واحترام إنسانيتهم، وأن يُعَامَلوا على أساس أنهم أطفال ضنّت عليهم الحياة بسبل الرِّعاية والأمان، فَتَلقّفَتْهم الأيدى الشرِّيرة وزرعت مازرعت فى نفوسهم من سرقة وتسوُّل، وعلى ذلك لايجب معاملتهم كأطفال مجرمين بالفطرة أو السَّليقة.
* لابد أن يُقدِّم لهم أساتذةُ الطب النفسى والأخصَّائيون النفسيون والاجتماعيون الإرشاد والتوجيه والرِّعاية.
* أنْ نوفِّر لهم عديدًا من الندوات والمحاضرات الدينيَّة؛ حيث يلتقى فيها هؤلاء الصِّغار مع رجال الدِّين ليعلِّموهم أمور دينهم ودنياهم، ويغرسون فى نفوسهم المُثُل العُلْيا والقيم الدينيَّة والأخلاقيَّة المستقاة من شرائع ونواميس الأديان السماوية.
* أن نوفِّر لهم رحلات ترفيهيَّة وتثقيفيَّة على مستوىٍ عالٍ.
* أنْ يتعلموا مهنًا عمليَّة كالنجارة والسِّباكة وأعمال الدهانات وغيرها؛ حتى يكتسبوا عملاً شريفًا، على أنْ تلتزم الدولة وقطاعاتها ومؤسَّساتها بتوفير فُرَصِ العمل لهم فى شركاتها ومصانعها.
* أنْ تقدِّم وزارة التربيَّة والتعليم العون الكامل؛ لكى يستكمل هؤلاء الأطفال دراستهم التى انقطعوا عنها.

الثانى عشر : الضعف العقلى وانخفاض معدل الذكاء :

الضَّعف العقلى هو حالة نَقْص أو تخلُّف أو توقُّف أو عدم اكتمال النموِّ العقلى، يولد بها الفرد أو تحدث فى سنٍ مبكِّرة إمَّا لعوامل وراثيَّة أو مرضيَّة، تؤثِّر على الجهاز العصبى للفرد؛ ممَّا يؤدى إلى نقص معدل الذَّكاء.

ولمَّا كان الطفل المُصاب بحالة الضَّعف العقلى يجد صعوبة فى التوافق الاجتماعى من حيث نقص المُيول والاتجاهات. . . فإنه يقع تحت تأثير الأطفال الأذكياء والأكبر منه سنًّا، والذين قد يوجِّهونه إلى السَّرقة؛ لذلك يستلزم من الآباء والمربين أن يقدموا لمثل هؤلاء الأطفال العلاج الطبِّى والتأهيلى اللازم، وتصحيح أى سلوك خاطئ أو مضطرب يقومون به، مع حمايتهم من استغلال الآخرين لهم.

ظاهرة الأثرية كمظهر من مظاهر السرقة :

هناك نوعٌ آخر من السَّرقة يرتبط بنقص الحبِّ والرعاية، وفى هذا النوع يختار الطفل أحد الأقرباء أو الأصدقاء يستريح له ويتوسَّم فيه موضوعًا لحبه، وغالبًا ما يكون من جنسٍ مخالف، ويرغب الطفل فى أن يقيم معه علاقة عاطفيَّة، تعوِّض الحنان أو الحبَّ المفقود، فإذا لم يستجب هذا الشخص له، ولم يلتفت إليه. . فإن الطفل لا يستطيع تحمُّل هذا الصدِّ أو الحرمان، فيمضى فى إصرارٍ لإقامة العلاقة، ولكنَّها تكون فى الخيال بالدرجة الأولى، وهنا يلجأ الطفل إلى سَرقة إحدى الأشياء من ذلك الشخص - وفى العادة لايكون للشىء المسْروق قيمة ماديَّة تُذكر - ولكن الطفل يسرْق هذا الشىء ويضعه فى مكان أمين، ويتفحَّصه بشوقٍ واهتمام كلَّما مرَّ بمواقف مُحْبِطة أو مُؤْلمة، ويجد فى الاحتفاظ به رمزًا لاستمرار العلاقة، ولهذا يحرص عليه جدًا، وإذا فقده فإن علاقته بموضوع حبه واهتمامه تتهدَّد، وهذه الظاهرة الفريدة هى ما يُطلَق عليها علماءُ النفس ظاهرة «الأثرية» FETHISM، إشارةً إلى أن هذا الشىء المسروق يمثل أثرًا من آثار المحبوب.

لذلك. . . يتحتَّم على الآباء والأمهات بذل قُصارى جهدهم من أجل توفير

الحبِّ والحنان والرعاية لأطفالهم؛ خوفًا وتحسُّبًا من أيَّة انتكاسات قد تُصيب «صحة الطفل النفسيَّة»، أو تؤثِّر سلبًا على مُجمل سلوكياته وتصرُّفاته، وليضعوا نُصب أعينهم دائمًا أن الوقاية خير وأفيد من العلاج.

حينما يعتاد الأطفال السرقة !!

قد تكون السَّرقة سلوكًا عارضًا، سرعان ما يزول إذا اتبع الآباء والمربُّون نهجًا تربويًّــا قويمًا فى علاج المشكلة عند بدء ظهورها، وقد لا يهتُّم الآباء كثيرًا عند ظهور أعراض هذه المشكلة؛ فيتأصَّل الدَّاء ويستفحل وتنشأ الخطورة الحقيقية حينما يعتاد الأطفال السَّرقة؛ لتصبح عندئذ من مكونات سلوكهم. على أن هناك فئة من الآباء أو الأمهات يقفون موقف الدفاع، ينفون عن أطفالهم تهمة السَّرقة، رغم كل الأدلَّة المنطقيَّة التى تثبت بالدليل الدامغ ارتكابهم لها، وهم فى ذلك لايجرؤون على بحث المشكلة بحثًا موضوعيًّــا بعيدًا عن التحيُّز للوصول إلى الحقيقة، بل إنَّ أسهل السُّبُل لديهم هو إنكار وقوعها أصلاً.

والبعض الآخر من الآباء أو الأمهات يذهلهم ويطير برشدهم أن يُدمغ أطفالهم بسلوك السَّرقة، فيلجأون إلى العنف والقسوة والضرب تجاههم، ومن الآباء مَنْ يسرف فى إسداء النصائح العقيمة، ومحاولة غرس القيم الدينيَّة والخُلقيَّة غرسًا فاترًا، بلا جدوى.

ونقرر أن موقف الآباء لا ينبغى أنْ يقتصر على استقصاء الحقيقة والبحث وتقديم النُّصْح فَحَسْب، بل ينبغى أنْ يكون إلى جانب ذلك، مَوقفًا يهتمُّ بالبواعث والدوافع الحقيقية، التى أدَّت إلى مثل هذا السلوك؛ حتى يمكنهم التوصل إلى الحلول المناسبة، التى من شأنها أن تقى الطفل مغبة سلوك السَّرقة هذا.

تنمية مفاهيم الملكية عند الأطفال :

يشعر الطفل بالحاجة إلى الامتلاك فى سنٍ مبكِّرة، وهذا الشعور هو شعور طبيعى، ولكنَّ مِنَ الآباء مَنْ يُهمل ذلك فلا يكاد يفرِّق بين ما يمكن أن يملكه

الطفل أو مالا يملكه، وأحيانًا كثيرةً يقع الآباء فى أخطاء تقليديَّة، والتى كثيراً ما تتسبَّب فى مشكلات سلوكيَّة بحيث يشتروا لُعبةً واحدةً ليلعبَ بها أكثر من طفل، ظنـًا منهم أنَّ هذه وسيلة مثالية لتعليم الأطفال الإيثار والتعاون بدلاً من الأنانيَّة، وهم بذلك يجانبهم التوفيق؛ لأنَّ الطفل لم يعد يفرِّق بين خصوصيَّاته وخصوصيَّات غيره. وعلى ذلك فإن تشجيع الآباء لشعور الأطفال بالملكيَّة ـ غير المبالغ فيها ـ يساعد فى غرس الاتجاهات الإيجابيَّة نحو احترام ملكيَّة الغير، بل وينمِّى فيهم اتجاهات سلوكيَّة سديدة نحو الأمانة.

والأطفال فى غالبيتهم يدَّعون ملكيَّة أشياء لا تخصَّهم، ولكن مع تطوُّر النمو، يستطيعون أنْ يدركوا ما يخصَّهم وما لا يخصَّهم، ملكيَّتهم وملكيَّة غيرهم، ذلك لو أنَّ الآباء اعتادوا على شرح أنَّ الاعتداء على ملكيَّة الغير تحت أى مُسَمَّى، وبأى تصرُّف إنَّما صفة سيِّئة، وعادة غير مستحبَّة، وإنَّها تُسَمَّى فى كل الأحوال والحالات «سرقة».

ولذلك. . . فيجب على الآباء والمربين عدم تبرير موقف الطفل، الذى يستولى على حاجيات الآخرين ـ فلا يراعِى بذلك حقوق ملكيَّة الغير ـ على اعتبار أنه ما يزال طفلاً، أو أن ما يأخذه إنَّما هو من أخٍ أو قريبٍ وليس من غريبٍ!! فهذه المبرِّرات إنَّما هى مبرَّرات واهية، وعنصر التسيُّب فيها أكبر من عنصر الضبط؛ لأن الطفل يأخذ فى تعميم السلوك فما يفعله داخل المنزل يفعله خارجه، وما يحصُل عليه بداخله يُريد الحصول عليه خارجه.

ولعلَّ من أهمِّ قواعد وأُسُس تكوين الاتجاهات الإيجابيَّة نحو الأمانة واحترام ملكيَّة الغير، هو احترام حقوق الطفل بما يملكه من أدواتٍ أو لُعبٍ؛ بحيث تُترك له الحريَّة فى الاستمتاع فى استخدامها بقليلٍ من التوجية بين الحين والآخر، ولانغالى فى القول إذا أكدنا على ضرورة أن يكون لكل طفل ملابسه الخاصَّة وكذلك لُعبه، وكتبه، وفراشه، وأدوات مائدته ونظافته، فلا يتصرَّف فيها أحدٌ إلاَّ بإذنه وموافقته.

تنمية سلوك الأمانة عند الأطفال :

يرى «جان بياجيه Jean Piaget» بعدما تمكَّن من دراسة النمو الخلقى عند الأطفال:

* أنه يحدث تطوُّر فى مفهوم الأمانة عند الطفل، فبعد أن كان الطفل لديه مفهوم جامد عن الأمانة، يتمثَّل فى تطبيق القواعد، بِصَرْف النظر عن أيَّة اعتبارات أخرى أو ظروف محيطة بالموقف، نجده مع التطوُّر الخلقى يبدأ فى إدخال الظروف والملابسات المحيطة بالموقف فى تقديره واعتباره.

* يحدث تناقض فى طاعة الطفل للوالدين، إذا كانت تتعارض مع إحساس الطفل بالأمانة، فإذا كان الطفل فى أول المرحلة ينحاز فى اتجاه والديه، فإن هذا الانحياز يتناقص حتى يكاد يتلاشى، وينحاز الطفل فى الثانية عشرة من عُمْره إلى ما يعتقد أنه أمين.

* ينتهى «بياجيه» إلى أن هناك ثلاث فترات فى نمو معنى «الأمانه» عند الطفل:

* **الفترة الأولى** : وتستمرُّ حتى سن السابعة أو الثامنة، وفيها تكون «الأمانة» حسب ما يرى الكبار (الممثَلين فى الوالدين).

* **الفترة الثانية** : تمتد من الثامنة إلى الحادية عشرة، وهى مرحلة المساواة التى يطبق فيها الطفل القواعد كما هى.

* **الفترة الثالثة** : وهى العامين الحادى والثانى عشر، حيث يطبق الطفل قواعد «الأمانة» مشفوعة بتقدير ملابسات الموقف.

..... وعلى ذلك فهناك بعض الملاحظات المهمة، التى يجب أن تتبع فى غرس وتنمية سلوك الأمانة فى وجدان الطفل، وهى:

* يجب أن يدرك الآباء أنه قبل تكوين اتجاه «الأمانة»، لابد من حدوث اعتداءات من الطفل على ملكيَّة الغير، وهذا أمر طبيعى يجب أن يقابله الآباء بالمرونة إلى أن يتعلَّم الطفل أساليب التعاون من (أخذٍ وعطاء)، كما

يجب عليهم عدم التهويل؛ فيقابل الآباء ذلك بالضرب والإهانة، كما أنه من الخطأ الدفاع عن هذا السلوك، فكلا الأسلوبين لايساعد على تكوين اتجاه «الأمانة».

* خلق شعور الملكيَّة لدى الطفل بأن يخصَّص للطفل مقتنياته الخاصَّة، وإعطاء الطفل مصروفًا يوميًا، يتناسب مع عُمْره ووسطه الاجتماعى الذى يعيش فيه.

* التسامح قدر الإمكان فى حالات السَّرقة العابرة، والتي تحدث بلا دوافع نفسيَّة، كذلك عدم دفع الطفل للاعتراف بالسَّرقة حتى لايعتاد الكذب.

* عدم معايرة الطفل أمام الآخرين فى حالة السَّرقة؛ حتى لا يشعر بالمهانة والنقص، علمًا بأن الطفل لو أحسَّ بمشاعر المحبة والحنو والعطف والرعاية.. فإنه لن يلجأ إلى السَّرقة.

حتي نقي أطفالنا داء السرقة :

* ممَّا لا شك فيه أن الوسط الأُسرى أو المدرسى أو البيئى الذى يتوفّر فيه الدفء العاطفى والحب والأمن والتوازن فى المعاملات والمرونة فى التربية يساعد على وقاية الطفل من الانحراف السلوكى، الذى يجد متنفسًا له من طريق السَّرقة كمثال.

* ينبغى توفير ضروريات الأطفال من ملابس خاصَّة وأدوات ولُعب وغيرها؛ حتى لا يشعروا أنهم أقل من الآخرين، فيلجأون إلى السَّرقة لتعويض النقص.

* حماية الطفل المُفْرِطة والمُبَالِغ فيها، والتى تعيقه عن الاختلاط السَّوِى مع أصدقائه تساعد على السَّرقة؛ فلذلك يجب أن ننمِّى فيه الحسَّ الاجتماعى للاندماج وسط جماعة سواء فى المنزل أو الحى أو المدرسة.

* احترام ملكيَّة الطفل الخاصَّة شئٌ ضرورى مهم، ومن هذا المُنْطَلَق لابد أن نعلِّمه كيف يحترم ملكيَّة الآخرين؛ فإذا حدث أن اعتدى الطفل على ملكيَّة

أخيه، فلنأخذ منه إحدى مقتنياته ونعطيها لأخيه، فإذا ثار واعترض، علمناه أنه كما يثور لأننا اعتدينا على ملكيته؛ فإن أخاه سيثور أيضًا لأننا اعتدينا على ملكيته، وبهذا الدرس العملى سيتيقَّن أنه من غير المستحبِّ الاعتداء على ملكيَّة الآخرين.

* مداومة التوجيه والإرشاد، وغرس القيم الدينيَّة والأخلاقيَّة فى وجدانه، مع تقديم النموذج والقدوة الطيبة أمامه، فلا ننهى عن سلوكٍ يقترفه، ثم نأتى به نحن الكبار، مع عدم اتهام الطفل بالسَّرقة، ونحذر من خلعِ ألقابٍ على الطفل من شأنها أن تقضى على سلامة صحته النفسيَّة، كأن نقول له مثلاً: «يالص» أو «ياسارق».

* كل طفل ينمو تكون لديه طاقة ذهنيَّة وجسمانيَّة هائلة، يجب أن نستغلَّها ونوجِّهها إلى مشاركته فى الأنشطة الاجتماعيَّة والثقافيَّة والفنيَّة والرياضيَّة؛ حتى ننمِّى مواهبه ونخلِّصه من طاقاته الزَّائدة، ونقضى على ملله وضجره بشعوره بالفراغ.

* يجب ألاَّ نُسرع بإلصاق تُهْمَة السَّرقة بالطفل قبل التحقُّق من ذلك، وأن نناقشه بموضوعيَّة وهدوء حول سلوكه، وأن نبصِّره بمواطن الصَّواب والخطأ.

* لابد من دراسة الدوافع التى دفعت الطفل دفعًا إلى السَّرقة، فهل السَّرقة عابرة أم متكرِّرة؟ وهل هو يقلِّد الآخرين عندما يسرق؟ وهل السَّرقة تؤدِّى وظيفة نفسيَّة فى حياة الطفل كتغطية فقدانه من الحب أو الحنان أو الرعاية؟ أم أن لها وظيفة اجتماعيَّة كالتباهى والتفاخر أو إثبات الذَّات والزهو؟ فإذا ما وضعنا أيدينا على موطن الدَّاء الحقيقى، أمكننا وضع العلاج الناجع والمفيد.

الفصل العاشر





الكذب

إذا نشأ الطفل فى بيئة تقدر الحق وتلتزم الصدق، لايتخلص فيها الآباء بانتحال المعاذير، وفى أسرة تطبق الأمانه والصدق بقدر دعوتها إليها، يكون من الطبيعى فى مثل هذه الظروف، أن يلتزم الطفل حدود الصدق المرعية. أما إذا سمع الطفل أحد أبويه يتشكك فى صدق الآخر، أو إذا شاهد أمه تتخلص من واجباتها بادعاء المرض، فليس هناك ما يدعو إلى الظن بأن الطفل فى مثل هذه الظروف سوف يعرف قيمة الصدق. وعلى ذلك فإن الكذب صفة أو سلوك يتعلمه الطفل كما يتعلم الصدق، وليس صفة فطرية، أو سلوكًا موروثًا، والكذب عادة عرض ظاهرى لدوافع وقوى نفسية، تجيش فى نفس الفرد، سواء كان طفلاً أم بالغًا.

* أنواع الكذب:

أولاً : الكذب الخيالى أو التلفيقى :

لا ينبغى أن يُشْفِقَ الآباء من عجز أبنائهم عن التزام الدقَّة والصِّدق فى سرد الوقائع؛ وذلك لأنَّ الطفل يمرُّ بفترة طويلة، قبل أن يستطيع التَّـفْرِقَة بين الحقيقة والخيال.

ففى مرحلة الطفولة المبكِّرة، يُلاحظ فيها قوة خيال الطفل، حيث يطغى خياله على الحقيقة ويرى فى القصص الخيالية واقعًا، ويكون خياله خصبًا فيَّاضًا يملأ عن طريقه فجوات حديثه، وننصح بالاهتمام بالقصص التربويَّة وعدم المبالغة فى

القصص الخيالية - رغم أهميتها فى إثراء خيال الطفل وخصوبة تفكيره - حتى لايؤدى ذلك إلى تشويه الحقائق المحيطة به.

وكثيرًا ما يلجأ الطفل فى سبيل المفاخرة بقيمته الذَّاتية إلى المبالغة فى بعض المواقف التى قام بدور فيها، وكثيرًا ما يكون للأقاصيص التى ينسجها أساس واهٍ من الواقع، بيد أنَّها كثيرًا ما تكون أيضًا أمورًا لفَّقها الطفل؛ حتى لا يتجاهل الناس أمره تجاهلاً مُطْلقًا. ويغلب أنْ يصدر هذا النوع من التلفيقات من البنت أو الولد الذى تضيق به الحيلة، ولكنه رغم ذلك يتوق إلى تحقيق شىء يستحق الذِّكر والتنويه، وهكذا ينتقل أولئك الأطفال على أجنحة الخيال؛ فمن حياة مفعمة بالخيبة إلى حياة مليئة بالنشوة والنجاح؛ فليست مثل الأخيلة فى الواقع كَذِبًا، بل هى أوهام أو رغبات لم تتحقق.

ويقوم علاج عادة التلفيق هذه على توجيه انتباه الطفل إلى الأمانة فيما يقومون به؛ فمثل أولئك الأطفال فى حاجة إلى جانب كبير من التشجيع والتوجيه، فينبغى أنْ توجه جهودهم نحو القيام بالأمور التى تقع فى نطاق قدرتهم؛ حتى تكلَّل جهودهم بالنجاح.

أمَّا التلفيقات والأوهام التى ليس لها أساس من الواقع، والتى لاتؤدى إلى غاية نافعة - أى تلك التى تدْعى بأحلام اليقظة DAY DREAMS - ؛ فليس مِنَ اللازم أو مِنَ المرغوب فيه دفع الطفل إلى التسليم بأنَّ أحلامه ليس لها ظلٌّ من الحقيقة؛ فهذه الأحلام ليس فيها ما يُهدِّد سلامة الطفل العقليَّة إلاَّ إذا أصبحت غاية فى حدِّ ذاتها، وأدَّت بالطفل بعيدًا عن حقائق الحياة واستغرقت منه كَوَامِن نفسه. ومن ثمَّ لا ينبغى أن نَضيقَ ذرعًا بتوهُّمات الأطفال، فكثيرًا ما يكون فى حياة الصغير معنى خاص، فإذا لم يتحمَّل الآباء الإنصات إلى ما يبدو لهم أمرًا تافهًا صغيرًا يصدر عن الطفل، فإن الفرصة لن تَسْنح لهم بالوقوف على ما يَعْرِضُ لحياته من مشكلات جدِّية خطيرة مستقبلاً. ومهمَّة الآباء تتطلب منهم أن يقدِّموا العون لأبنائهم؛ كى يتعرفوا الحقيقة ويدركوا قيمتها.

ثانيًا : الكذب الالتباسى :

وهذا النوع من الكَذِبِ لا يدلُّ على انحرافٍ سلوكىّ أو مرضىّ لدى الطفل، بل يحدث نتيجة لتداخل الخيال مع الواقع لديه؛ بحيث لا يستطيع أنْ يفرِّقَ بينهما، فقد يستمع إلى قصة خياليَّة أو واقعيَّة تثير مشاعره، وبعد أيام يتقمَّصُ أحداث القصة فى نفسه أو فى غيره. والطفل فى حالة الكَذِب الالتباسى يلجأ إلى الكَذِبِ دون قَصْد؛ فذاكرته تعجز من أن تعى حادثة معينة بتفاصيلها، فيضطر دون أن يدرى إلى أن يحرِّف بعض الأحداث، ويضيف أخرى من نسج خياله حتى تبدو مُسْتساغة لعقله الصغير ومنطقه المحدود.

ثالثًا : الكذب الادعائى :

هذا النوع من الكَذِبِ يلجأ إليه بعض الأطفال، الذين يعانون الشعور بالنَّـقْص أو الدُّونيّة «INFERIORITY FEELING» لتغطيته بالمبالغة؛ بهدف الحصول على مركز مرموق وسط الجماعة، فالطفل الذى لا يمتلك لُعبًا كغيره من الأطفال يَدَّعى أنه يمتلك منها الكثير، وقد يصل به الأمر إلى أن يتخيَّل شكلها وحجمها وطريقة تشغيلها للتَّباهى أمام أقرانه.

وهذا النوعُ من الكَذِبِ شائعٌ بين أغلب الأطفال، ولاضرر منه فهو لا يؤذى أحدًا، ولكن على الآباء أنْ يحاولوا علاج مثل هذه الحالة بشىء من توضيح الحقائق، ومحاولة إشباع الحاجات النفسيَّة للأطفال، مع ضرورة توفير احتياجاتهم من اللُّعب والأدوات.

وقد يلجأ الطفل إلى الكَذِبِ الادعائى لاستدرار العطف عن طريق التَّمارض، وهذا يحدث عند الأطفال، الذين لم ينالوا درجة مناسبة من الحبّ والرعاية من الوالدين فى طفولتهم.

وقد يلجأ الطفل إلى هذا الكَذِب فيتَّهمون الغير باضطهادهم أو التنكيل بهم، فعندما يعود الطفل من مدرسته يدَّعى فى حضور والديه أنَّ المُعلِّم قد أوسعه ضربًا، أو منع عنه مكافأة كان يستحقَّها، ويعود السبب فى ذلك إلى أنَّ الطفل

يحاول استدرار عطف والديه، أو قد يحاول أنْ يجد لنفسه مُبَرِّرًا لفشله أو عجزه الدراسى؛ حتى يمنع لوم وتقريع الأسرة له. وهذا النوع من الكَذِب يجب الإسراع إلى علاجه؛ لأن أى إهمال أو تقاعُس سيجعل من الطفل مُبالغًا ومُختلقًا للمبرِّرات الواهية والأقاويل الزائفة؛ ممَّا يؤثِّر بالسَّلْب على صحته النفسيَّة ومكانته الاجتماعيَّة.

رابعًا: الكذب بغرض الاستحواذ:

يعامل بعض الأطفال معاملة قاسية يشوبها النَّبذ والإهمال؛ فَتَنْعكس هذه المعاملة عليهم؛ فالأطفال الذين يعانون من رقابة الوالدين الشديدة ومحاولة التحقق من كل عبارة يذكرونها، وقد أخذوا فى التضييق عليهم، هؤلاء يلجأون إلى نوعٍ آخر من الكذب؛ بغرض الاستحواذ على الأشياء وعلى العواطف أيضًا. إنَّ الطفل عندما يفقد الثّقة فى بيئته، يشعر بالحاجة إلى امتلاك أكبر قدر ممكن من الأشياء، وهو يكْذِبُ فى سبيل تحقيق ذلك.

وإننا نوجه إلى الآباء نصيحة خالصة بأن يوفِّروا لأبنائهم جوًّا من الثِّقة والأطمئنان، وأن تكون البيئة الأُسَريَّة التى يعيشون فيها مصدر فخرهم وثقتهم، والابتعاد عن النبذ والإهمال والرقابة الشديدة الصارمة، وكذلك نحذِّر من التدخُّل المباشر فى حياة الأطفال فى كل أمورهم (الكبير منها والصغير) إلاَّ بالقدر الضرورى والمعقول.

خامسًا: الكذب الانتقامى:

قد يكْذِبُ الطفل لإسقاط اللوم على أطفال الآخرين، والكَذِبُ الانتقامى يرتبط بضعف «الأنا العليا» SUPER EGO، التى تقوم بوظيفة الرّقابة على السلوك.

ويُعَدُّ هذا النوعُ منِ الكَذِبِ من أخطر أنواع الكَذِبِ على الصحَّة النفسيَّة للطفل؛ لأنه كذِبٌ ينمُّ عن كراهيَّة وحقد. وفى هذا الكَذِبِ يفكر الطفل كثيرًا، قبل أن يُقْدِمَ على هذا الخُطْوَة، بل يتدبَّر مُسَبَّقًا حبكته الانتقاميَّة هذه بقصد

إلحاق الضرر بمن يكرهه، وهذا السلوك يكون مصحوبًا ـ فى أغلب الأحوال ـ بالتوتُّر والقهر والإحساس بالألم. وهذا النوعُ من الكَذِب يكون أكثر انتشارًا بين أطفال المدارس الابتدائية نتيجة للغيرة أو الحقد؛ فيحدث أن يشكو الطفل قرينه لأنه قد أتلف كتابه، فيهم المُعلِّمُ بعقاب الطفل المشكو منه، فيجد الطفل الشَّاكى فى ذلك راحة وسعادة، وهذا الكَذِب يجد له رواجًا ومتنفسًا، إذا وجد الطفل من المُعلِّم استجابة لشكايته وميلاً من جانب المُعلِّم إلى العقاب دون التحقق.

ومن هنا يَتحتَّم على الآباء والمُعلِّمين أنْ يقابلوا مثل هذه الشكاوى والاتهامات بالحذر الشديد والتحقق الدقيق، وكذلك يجب عليهم أن يهتمُّوا بهؤلاء الصغار الذين يندفعون إلى اقتراف هذا الكذب الانتقامى بأن يعتنوا بهم ويقوِّموهم؛ حتى يتخلَّصوا منه؛ لأن الاعتياد على مثل هذا النوع من الكَذِب يؤدى إلى اعتلال صحَّتهم النفسيَّة.

سادسًا : الكذب الدفاعى أو الوقائى :

إن العقاب إذا كان مطردًا قاسيًا لايتناسب، وما يتطلَّبه المَوقف أدَّى إلى اتخاذ الكَذب وسيلة للوقاية، ونؤكِّد أنَّ العقاب نَفْسَه كثيرًا ما لا يتحققُّ الغرض من توقيعه؛ فإنَّ كثيرًا من الأطفال يندفعون إلى استخدام الكَذِب كسلاح غريزىّ، وقاية لأنفسهم من أساليب العقاب، خاصة إذا كان القِصَاصُ جائرًا لاعدل فيه.

كما يلجأ بعض الأطفال فى الأُسر التى تتناقض فيها وسائل التربية ـ كأن يكون الأبُ شديد القسوةِ وتكون الأمُّ شديدة الحنو ـ فى هذه الحالة وما يشابهها نجد أنَّ الطفلَ يكْذِب؛ لكى يفلت من عقابٍ ينتظره، فيلصق الاتهام ببرىء قد يكون أخوه أو صديقه؛ حتى ينال العقاب عوضًا عنه.

والكَذِبُ الدِّفاعى أو الوقائى هو أكثر أنواع الكَذِب شيوعًا بين الأطفال، وقد يُدْمِنُ الأطفال هذا النوعَ من الكَذِبِ وبالأخصِّ من تعتريهم نوبات القلق والتوتُّر. ونؤكِّد أنه كلَّما ازداد الخوف من العقاب، ازداد نزوع الأطفال إلى الكَذِبِ الدِّفاعى؛ لذلك نحذِّر الآباء ورجال التعليم، الذين يلجأون إلى عقاب

الأطفال بالوسائل المؤلمة (كالصفع أو الركل أو الضرب) بأنْ يتجنبوا ذلك ويكفوا عن تلك الوسائل؛ حتى لايدفعوا هؤلاء الصغار إلى هذا النوع من الكَذِب.

وإذا كان الكَذِبُ الانتقامى يرتبط بالتوتر والألم.. فإن الكَذِبَ الدفاعى يرتبطُ غالبًا بالخوف والقلق، ويصاحبه أيضًا عادات الغشِّ والتمويه والخداع والتخطيط المُسبَق له والتدبير المُحكم؛ حتى يبدو هذا الكَذِبُ مُقْنعًا بلا افتعال أو ارتجال. هذا.. وقد أجمعت الدراسات على أن حوالى ٧٠٪ من أنواع سلوك الأطفال الذى يتصف بالكَذِب، يرجع إلى الخوف من العقاب، وعدم استحسان البالغين وقبولهم لسلوكهم، وأن ٢٠٪ منها ترجع إلى أغراض الغشّ والخداع والتمويه، وأن ١٠٪ منها ترجع إلى ميل الأطفال لأحلام اليقظة والخيال والالتباس.

سابعًا : الكذب الأنانى :

الكَذِبُ الأنانى نوع من أنواع الكَذِب، يلجأ إليه الطفل ليحقِّقَ منفعة لنفسه، أو ليمنع نفعًا لأخيه أو صديقه، وهذا النوع من الكَذِب يرتبط بدرجة النمو الخلقى لدى الطفل، ونوع النموذج أو القدوة التى كانت متاحة أمامه ممثَّلة فى الوالدين. ويكذبُ الطفل؛ لأنهّ لم يُقَوَّم منذ البداية على أن يحب للآخرين ما يحب لنفسه، وأنَّ النفع الذى يعودُ عليه إنَّما يرتبط أشد الارتباط بنفع الآخرين أيضًا، وأن الحياة التى نعيشها تعتمد على محورين مهمين، هما: الأخذ والعطاء.

أمَّا إذا كَذِبَ الطفلُ ليمنع نفعًا للآخرين، فهو الكَذِبُ الذى يهددُ أمنه وصحَّته النفسيَّة؛ لأن الأنانية ترتبط بالكراهيَّة وبالعداء تجاه الآخرين، فالطفل يكذب ليسقط عن أخيه أو صديقه صفة الامتياز أو التفوُّق، ثم يدَّعيها لنفسه طمعًا فى تقدير أو ثناء أو إثابة، وهو ما يجب أن يتنبَّه إليه الآباء والمُعلِّمون لتوضيح مثل هذه الأمور للأطفال؛ حتى يقلعوا عن هذا الكَذِبِ بلا عنفٍ أو إكراهٍ، مع الاهتمام بتوفير الجوِّ الأُسَرِىّ الصالح.

ثامنًا : الكذب لمقاومة القسوة والسلطة :

كثيرًا ما يكَذِبُ الأطفال لأنهم يعانون من قسوة الوالدين أو المدرسة، والكَذِبُ

سلاحٌ يستخدمه الأطفال لمجرَّد الإحساس الممتع؛ نتيجة التغلُّب على مقاومة السُّلَطة الصارمة، إنَّه إحساس بالانتصار رغم كل القيود؛ فالطفل بدلاً من أن يذهبَ إلى المدرسة يسير فى الطرقات العامة، ويرتاد الحدائق والمتنزهات؛ وعند اقتراب نهاية اليوم الدراسى يهمُّ عائدًا إلى المنزل مُدَّعيًا أنه قضى فى المدرسة يومًا شاقًّـا ومرهقًا !!

والطفـل فـى مـثل هـذه الحالات مــن الكَذِب يبـدو رقيقًا كالملاك، يستسلم ـ ظاهريًّـا ـ لأوامر ونواهى السُّلطة الوالدية؛ فهو يحاول أن ينفِّذ أمام أعينهم كل ما يطلبانه ويأمرانه، ولكن حينما يتحرر من هذه السُّلطة، يفعل ما يَحْلوُ له محاولاً استنشاق عبير الحرِّية المسْلُوب؛ لذلك لزم التنويه بضرورة التخفيف ـ قدر المستطاع ـ من حدَّة القيود والسُّلطة الأبويَّة والمدرسيَّة الصارمة، وأن يطَّلعَ الطفلُ مُسبَّقًا على قواعد ومعايير السلوك المرجوَّة بلا قسر أو عنف، وإذا طُلب منه أداء سلوك معين أو تنفيذ واجب محدد لا يكون بالأوامر والنواهى الصارمة، بل بالإقناع بعد توضيح الأمور بصدقٍ دون استخفاف؛ فينفِّذ الطفلُ كل ما يُطلبُ منه، لا عن خوف ورهبة بل عن اقتناع وحب.

كيف نقي أطفالنا من الكذب :

* يجب توضيح الأُسُس التى تقوم عليها العلاقات بين الأفراد بحيث يُدرك الطفل الحدود الصحيحة للحقوق والواجبات حتى لايلجأ إلى الكَذِب الذى يحاول فيه ـ بحسن نيَّة ـ أن يساعدَ الآخرين.

* التسامح مع بعض الأطفال فى بعض المواقف، مع شرح أخطائهم وإعطائهم الفرصة؛ لتصحيح ما يقعون فيه من أخطاء غير مرغوب فيها.

* ألاّ يُسْمحُ للطفل بأن يفلت بكذبه، بل يجب أن نعلّمه أنَّنـا أدركنا سلوكه، ونعطيه الفرصة لتجنب الكَذِب مرة أخرى؛ حتى لايتدعَّم سلوك الكَذِب لديه كوسيلة لتحقيق رغباته، أو للتخلص من المآزق التى قد يقع فيها.

* عدم اللجوء إلى العقاب الشديد؛ لأن الخوف من العقاب من أهم الدوافع

التى تجعل الطفل يلجأ إلى الكَذِب، وأن يكون العقاب - إذا حدث - عقابًا معتدلاً يتناسب مع نوع الخطأ، وأن يعرف الطفل الأسباب التى أدَّت إلى اتخاذ القرار بعقابه.

* لابد من استخدام الأسلوب العلمى فى حل المشكلة، وذلك بالبحث أولاً عن أسبابها ودوافعها، ووضع العلاج المناسب لكل حالة على حدة؛ فعلاج الكَذِب الدِّفاعى يختلف بطبيعة الحال عن علاج الكَذِب الانتقامى، مع مراعاة أن كل طفلٍ حالةٌ قائمةٌ بذاتها؛ فأسلوب العلاج الذى قد ينجح مع طفل قد لاينجح مع طفل آخر.

* لابد أن نعى ونتيقَّن أنه لافائدة تُرجى من محاولة علاج الكَذِب، بالعقاب أو الزَّجر أو التهديد؛ لأن هذه الأساليب لن تردع الطفل عن الإتيان بالكَذِب، بل قد تتسبب فى ظهور أعراض سلْبيَّة أخرى؛ فالعقاب يُزيد من تعقيد المشكلة بدلاً من انفراجها وإمكانية حلها.

* يجب أن نساعد الطفلَ على أن يعيش فى بيئة، توفر له استجابات طيبة بمعنى أن تشبع حاجاته النفسيَّة المُلحَّة والضروريَّة من حبٍّ وحنانٍ وأمنٍ وتقبل؛ لأن ذلك يساعده على الصدق والصراحة والوضوح.

* الطفل يقلِّد مَنْ حوله ويتقمص سلوك الكبار منهم، ولذلك فعلى الآباء والمُعلِّمين أن يدركوا أنهم القدوة والمثل الأعلى والنموذج؛ فالآباء الذين يدفعون أبناءهم إلى الكَذِب إنَّما يدفعونهم إلى تقليد ومحاكاة سلوكهم.

* يجب أن يشعر الطفل بأنه يعيش فى بيئة مَرِنة ومتسامحة، فنعودُّه دائمًا على المحبَّة والتسامح، وأن نَحولَ دون تنمية الاتجاهات السلوكيَّة، التى تُدعِّم لدية غرائز الكراهيَّة والحقد والانتقام.

* تجنيب الطفل المواقف التى تشجِّعه على الكَذِب وتضطره للدفاع عن نفسه،

فإذا اعترف الطفل بأنه كَذِبَ لا نعاقبه البتَّة؛ لأن العقاب يشجِّعه على الكَذِبِ ولا يشْعِره بالأمنِ والطمأنينةِ نحونا، بل يجب أن نبصِّرَه بأهميَّة الصدق ومغبة الكَذِب.

* يجب على الآباء أن يكونوا أوفياء إذا قطعوا عهداً أو وعدًا مع أطفالهم؛ لأن الأطفال قد يصابون بصدمةٍ قويَّة، إذا خالف الآباء وعودهم، ومن ثمَّ فسوف يتحلل الأطفال من الالتزام بالصدق.



المراجع والمصادر

أولا : المراجع العربية :

١- - أرنلد جزل : الطفل من الخامسة إلى العاشرة، الجزءان الأول والثانى، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: أحمد عبد السلام الكردانى، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٦، ١٩٥٧، .

٢- أسعد رزوق: موسوعة علم النفس، الطبعة الأولى، مراجعة: عبد الله عبد الدايم، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧م.

٣- جوترود دريسكول: كيف نفهم سلوك الأطفال، ترجمة: رشدى فام منصور، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٤م.

٤- جلاديس جاردنر وآخرون: هؤلاء أطفالكم، ترجمة: عفاف محمد فؤاد، فريد عبد الرحمن، القاهرة: دار الكرنك للنشر، ١٩٦١م.

٥- حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو، الطبعة الرابعة، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٧م.

٦- حلمى ميخائيل: الجماعة والتربية، القاهرة: (د.ت).

٧- خليل قطب أبو قوره: سيكلوجية العدوان، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٦م.

٨- دجلاس توم: مشكلات الأطفال اليومية، ترجمة: إسحق رمزى، القاهرة: دار المعارف، ١٩٤٥م.

٩- رونالد الينجورث: الرضع والأطفال الصغار، ترجمة: فردوس عبد المنعم، مراجعة: أحمد عمار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

١٠- طلعت ذكرى: مشكلات الأبناء النفسية والتربوية، القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٨٩م.

١١- عبد الرحمن محمد عيسوى: الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.

١٢- عواطف إبراهيم وآخرون: تربية الطفل من الميلاد حتى الثالثة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١م.

١٣ فيليس هوسلر: الطفل، ترجمة: رمزى يسى، مراجعة: أبو الفتوح رضوان، القاهرة: دار الهلال، (د.ت).

١٤- كلير فهيم: أطفالنا وحاجاتهم النفسية، القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ١٩٨٣م.

١٥- محمد عبد المؤمن حسين: مشكلات الطفل النفسية، الإسكندرية: دار الفكر الجامعى، ١٩٨٦م.

١٦- محى الدين أحمد حسين: التنشئة الأسرية والأبناء الصغار، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

١٧- ملاك جرجس: للأطفال مشاكل نفسية، القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ١٩٨٤م.

١٨- نبيه إبراهيم إسماعيل: الصحة النفسية للطفل، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٩م.

١٩- **هدى محمد قناوى**: الطفل تنشئته وحاجاته، الطبعة الثالثة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١م.

٢٠- **يوسف ميخائيل أسعد**: المشكلات النفسية، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨٨م.

ثانيا المراجع الأجنبية :

1- Berkowitz, L, "Aggression cuesin aggression Behavior & hostibility catharsis", **Psychological Review** 1964.

2- Buss, A.H, **The Psychology of aggression**, London, John Wiley, 1961.

3- Coie, D, J. & Koeppl, K.G, Adapting intervention to the problems of aggressive distruptive rejected cildren, in S. R. Asher & J.D. Coie (eds.) Peerrejection in childhood, New York, Cambridge University Press, 1990.

4- Hoyenga, K.B. & Hoyenga K.T. **Motivational explanation of behavior,** Calif Cole publishing company, 1984.

5- Jo, G & Robert, A.H, **Aggression & war, their biolgical and social bases,** Cambridge university press, 1989.

6- Liebert, R. *et al.* the early window: **Effectes of television on children and youth.** New York Pergamon Press, 1973.

المحتويات

هذا الكتاب

هذا الكتاب التربوى الذي ينصب على الطفولة، يعتبر خلاصة خبرية لما قام المؤلف باكتسابه، سواء من خلال دراساته التربوية، أم خلال علمه كأخصائى للتربية وعلم النفس.

ومن يتناول هذا الكتاب بالدراسة المتمعنة، يلمس المجهود الكبير والفكر العميق، الذى أفرز هذا العمل العظيم.

وأول انطباع يتركه الكتاب بدءاً من عنوانه، واستمراراً عبر آفاقه المتمثلة فى فصوله العشرة، هو أن المؤلف قد تناول أخطر قضية تربوية، يمكن أن تحظى باهتمام المربين جميعاً.

فهذا الكتاب جدير بالاقتناء ومداومة الرجوع إليه، سواء من جانب الآباء والأمهات، أم من جانب المشتغلين بالتعليم.

يوسف ميخائيل أسعد

وفيق صفوت مختار

* من مواليد طهطا ـ سوهاج فى ١٩ يناير ١٩٥٨م.

* حاصل على ليسانس الآداب والتربية جامعة أسيوط عام ١٩٨٠م.

* حاصل على دبلوم الدرسات العليا فى التربية وعلم النفس جامعة أسيوط عام ١٩٨٤م.

* له عديد من المقالات والدراسات فى المجلات والدوريات العربية:

* مجلة الفيصل، القافلة، الخفجى، المجلة العربية (السعودية).

* مجلة الكويت، العربى، الوعى (الكويت).

* مجلة المنار (الإمارات العربية).

* مجلة البحرين الثقافية (البحرين).

* مجلة قطر الندى، هو وهى (مصر).

* استضافه التليفزيون المصرى على قناته السابعة فى عدة برامج كأخصائى فى التربية وعلم النفس، منها:

برنامج «أوراق ملونة»، وبرنامج «الطفل والمجتمع».

* له مؤلفات تحت الطبع، منها:

كتاب «ثمار الحكمة»، وكتاب «عمالقة فى ذاكرة التاريخ»





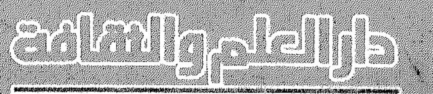
مشكلات الأطفال السلوكية

يركز على المشكلات السلوكية لدى الأطفال بكافة أشكالها وأبعادها المتباينة، عارضًا لخصائص هذه المشكلات وملامحها فى سلوكيات الأطفال... والكتاب بانطلاقاته الرحبة فى عالم الطفولة الذى يمتد إلى مالاحدود، يتسم بجمعه بين الخبرة النظرية العريضة التى يتميز بها المؤلف فى عرضه الرقيق المتأنى والمتتبع لكل ظاهرة سلوكية لدى الأطفال فى أدق تفصيلاتها، بحيث لايترك شاردة أو واردة من هذه الظاهرة إلا ورصدها، هذا إضافة إلى خبرته العملية العريضة التى استقاها المؤلف من كثرة ممارسته بالعلوم الاجتماعية والنفسية وإطلاعه على أحدث الاتجاهات والنظريات فى ذلك الميدان...

فلا غرو أن يأتى مؤلفه هذا منظومة رائعة يتناغم فيها البعدان: النظرى والعملى، ويغطى مساحة مترامية الأبعاد من الأسئلة والاستفسارات الخاصة بهذه النوعية من مشاكل الأطفال، كالغضب والتلكؤ، والجولان، والنسيان، والعنف... إلخ من المظاهر السلوكية، التى ترسم عالم الأطفال وتتأطر بحدوده...

ولاعجب أن يلقى الكتاب فى تشكيلته هذه اهتمامًا من قبل كل الدراسين المهتمين بعالم الطفولة فى أى تشكيلة من تشكيلاته المتباينة، حسب تخصصاتهم، وكذلك من قبل أولياء الأمور الحريصين على تنشئة أطفالهم التنشئة السوية السليمة، التى تستند إلى أساس متين من الفهم والوعى البصير، المدرك لكل ما يحدث فى عالم الطفولة، وأيضًا من قبل القارئ المثقف الذى يحرص على أن تكتمل لديه كل مشارب الثقافة المختلفة وصنوف العلوم المتباينة...

إن الكتاب يمثل بحق جهدًا دؤوبًا رائعًا ومثابرة متواصلة، وعطاءً متدفقًا لمؤلف، حرص على أن يصل بكتابه إلى وجدان وعقول قارئيه... والحق أنه قطع شوطًا كبيرًا صوب هذا الهدف.



٦١ شارع الشيخ محمد النادى ـ المنطقة السادسة ـ مدينة نصر
تليفون: ٢٧٥٨٢٥٢ ـ ٢٧٥٨٢٤٤ ـ فاكس: ٢٩٠٩١١٨